الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشـــلة

كلية الأدب و اللغات

معهد الأداب

النقـــاد الشعـــراء فـــي المغـــرب العـــربـي فـي القـــرن الـــرابع الهـــجـري –ابن شرف القيرواني نموذجا- دراســة وصفية

مذكرة مقدمة لاستكمال مقاييس شهادة الماستر في اللغة و الأدب

تخصص أدب قديم

إعداد الطالبة

مهنية لعلا ونة

إشراف الدكتورة

- حورية رواق

لجنـــــــة المنـــــــاقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
سعيدة بن بوزة	أستاذ محاضر أ	خنشـــلة	رئيسا
حورية رواق	أستاذ محاضر أ	خنشـــلة	مشرفا و مقررا
حكيم دهيمي	أستاذ محاضر ب	خنشـــلة	مناقشا

السنة الجامعية

2014/2013

مقدمة

مـقـدمـة

يعد ابن "**شرف القيرواني**" من النقاد الذين كان لهم دور بارز في الحياة الأدبية والثقافية في القرن الرابع الهجري الذي يعتبر أزهى عصور المغرب العربي، وهذه الشخصية من الشخصيات التي لا تحتاج إلى تعريف، أو تقديم خاصة في نقد الشعر، لكنها ظلت شبه غائبة عن ساحة الإبداع الشعري، رغم ما خلفه من شعر، ومما لاشك فيه أن له ديوان ضخم لكثرة ما كان ينظمه من شعر مند الصبا، وأثناء حياته الطويلة المليئة بالعطاء. ومن هنا يغدو الأمر أكثر تعقيدا لندرة الدراسات عن هذه الشخصية الشاعرة، مما شجعني على أن ألامس إبداعها الشعري وتقديم ولو القليل عن هذه الشخصية الأدبية التي لطالما استفزتنا كتابتها النقدية ذات المكانة المرموقة بين أمهات الكتب، إذ لا يذكر "**اسم ابن رشيق**" إلا واسم "**ابن شرف**" ملتصق بجانبه، وهناك كثرة من العلماء لا يعترف بفضل هدا الأديب الناقد الشاعر، وهل قدم إبداعا شعريا و نقديا في عصره أم لا؟.

فكل هذه الأفكار، شكلت عندي مجموعة من الدوافع والحوافز جعلتني أبحث في ميدان النقد المغربي في القرن الرابع الهجري، وعبر هذه التلميحات اختمرت في ذهني جملة من التصورات، والأفكار لتكون مفتاحا معرفيا لقراءات مكثفة جعلتني أقف عند حدود السؤال المؤسس لهذه المعرفة، وحينها رحت أقلب المعنى عبر مراجع وكتابات، فأثارتني أفكار "**ابن شرف القيرواني**" ودراسته النقدية، وهذا من خلال مؤلفه "مسائل الانتقاد".

فمن هذه القراءات تنامى بداخلي رغبة عارمة حتى أصبحت فكرة لبحث أكادمي، حركته الكتابات النقدية على مستوى المغرب العربي، وخاصة كتابات الناقد الأديب"**ابن شرف القيرواني**"، إذ وجدت في عمله إحساسا قويا بالتاريخ والتراث النقدي، وهذا ما جعلني أتناول إنجازه الشعري والنقدي بالدراسة والتحليل، مبرزة رؤيته النقدية ضمن سياق التراث النقدي العربي.

وقد وقع اختيار البحث على إبداع واحد من أهم الأسماء الأدبية التي أثبتت جدارتها في مجال النقد والنظم وبخاصة في فترة القرن الرابع الهجري، ألا وهو "**ابن شرف القيرواني**" فلم أجد أفضل من عمله هذا الذي لطالما ارتبط بالتاريخ ولا أفضل منه باعتباره أديبا وناقدا مهووسا بالتجريب في كل مغامرة يخوضها.

ولأن تجربته هذه من أروع ما قدمه في التراث الأدبي، وتعيد في نفس الوقت ربطنا بالماضي من أجل الاستفادة منه والتعرف على التراث المغربي والخوض في غماره، فالعودة إلى التاريخ و التعرف على تراث القدماء، إذن لا رسالة نبيلة عني الإبداع الشعري والنقدي بإيصالها وجعلت من أداتها موضوع دراسة ومساءلة وحوار.

ومن هنا تنبع إشكالية هذه الدراسة التي تكمن بلورتها في الأسئلة الآتية:

- من الناقد الشاعر "**عبد الله محمد بن شرف القيرواني**" ؟.
- ما قيمة شعره ؟ وما أغراضه وخصائصه؟.
- ما الجهود الأدبية التي قدمها؟ وهل تعد هذه الجهود من الإسهامات الحضارية للأمة ؟.
- هل كانت شخصيته النقدية واضحة؟.

ولعل أول خصوصية تميز بها " **ابن شرف القيرواني**" عن هؤلاء النقاد الشعراء الكبار؛ أنه شاعر جمع بين النقد والممارسة الفنية، فأدرك عوامل تكوينهما وكيفية إخراجهما، فإلى أي مدى استفاد " **ابن شرف** " من تخصصه النقدي في صياغة تجربة شعرية فذة، و إلى أي مدى استفاد من تجربته الإبداعية في التعبير عن نظرية نقدية واعية مبنية على التجربة و الممارسة ؟.

هكذا بدا لي الإشكال العلمي، فسعيت من خلال هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة والتي ارتأيت ضبط حدوده المعرفية والمنهجية وفق العنوان الأتي :

- النقاد الشعراء في المغرب في القرن الرابع الهجري **ـ ابن شرف القيرواني نموذجا– دراسة وصفية.**

ومن خلال تبني خطة متناسقة في سياقها سأعمد إلى إبراز هذا التناغم بين الشعر والنقد في عمل أدبي فني، و أبين كيف صنعا شخصية أدبية، ليساهما معا في إعادة إحياء التراث القديم.

وبناء على ما سبق فإن خطة بحثي اقتصرت على مقدمة يليها مدخل، وفصلان تطبيقيان، وخاتمة للإلمام بجوانب الموضوع، ولعلها تستجيب لمتطلبات هذه الدراسة وتجيب قدر الإمكان على الأسئلة السابقة الذكر.

وقد قمت بتقسيمها حسب ما تقتضيه الدراسة إلى:

مقدمة: شملت إحاطة بهذا الموضوع، وذكر أسباب اختياري له، ثم المنهج المتتبع والأهداف المنشودة، ثم قائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

مدخل: تناولت فيه النشاط النقدي في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري.

الفصل الأول: تناولت فيه حياة "**ابن شرف**"_ ثقافته وأدبه_، ثم آثاره الأدبية وتسليط الضوء على بعض الأغراض التي نظم فيها، والتي تباينت بحسب ظروفه الاجتماعية والنفسية التي مر بها، وأثرت فيه فجعلته ينظم في موضوعات وأغراض دون غيرها.

الفصل الثاني: تناولت فيه منهج "**ابن شرف**" النقدي، تطرقت فيه إلى إبراز ملامح النقد والنقاد في عصره، ثم انتقلت إلى عنصر آخر تمثل في آرائه النقدية، لتكون آخر الخطوات خاتمة لخصت فيها النتائج العامة التي توصلت إليها، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في انجاز هذه الدراسة، و ملخص احتوى أهم النقاط المتوصل إليها.

ولأنني بصدد إنجاز بحث أكاديمي اقتضت الدراسة وطبيعة الموضوع الاستعانة بالمنهج الوصفي في عرض أهم آرائه النقدية التي كتبها حول الشعر، مدعمة ذلك بالمنهج المقارن في ربط بعض آرائه بما جاء به بعض النقاد المغاربة و المشارقة على حد السواء .

وقد اعتمدت في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع منها: "ديوان" **ابن شرف القيرواني**، ورسالته الموسومة بـ : "مسائل الانتقاد"، "المطرب من أشعار أهل المغرب" **لابن دحية**، "معجم الأدباء" **لياقوت الحموي**، "العمدة " **لابن رشيق**، "نقد الشعر عند العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة" **لأمجد الطرابلسي**، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" **لإحسان عباس**، "مشكلة السرقات في الشعر العربي القديم " **لمصطفى هدارة**، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث" **لبدوي محمد طبانة**، "مدخل لدراسة الأدب المغربي القديم" **للعربي دحو**.

وبهذا المجهود الذي لا أدعي فيه الكمال ولا الإحاطة التامة، فهو ككل بحث علمي يبقى دائما في حاجة إلى التصويب والإضافـات، فما حققته فهو من عون الله و فضله علينا، وما كان من تقصير فذاك حسبي، وإن كان من شيء فهو الاعتراف بالتقصير،... ولو أن العرفان يخط بالأقلام لشخصكم لجفت خجلا قبل أن تكتب اسمكم،...أتقدم بالشكر الخالص إليك أستاذتي الدكتورة المحترمة "**حورية رواق**" على رعايتك لهذا البحث، وأتمنى أن أكون قد وفيت لتوجيهاتك وللمعرفة التي قدمتها لي.

مدخل: النشاط النقدي في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري

1_ بدايات التفكير النقدي عند العرب

2_ تجليات الثقافة اليونانية في النقد العربي القديم

3- النقد في القرن الرابع الهجري

4_ اتجاهات النقد المغربي القديم

5_ الروافد الثقافية للنقد في المغرب العربي

مدخل: النشاط النقدي في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري

1_ بدايات التفكير النقدي عند العرب

إن المدخل لقراءة التراث النقدي والبلاغي عند العرب وفهم تصوراته وتقويم منجزاته من خلال مختلف مراحل تشكله وتطوره يجب أن يبدأ – ضرورة – من تلك اللحظات المبكرة لنشأة نقد الشعر عند العرب، والتي تمتد على طول القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

فقد لف الغموض هذه الفترة وتضاربت آراء الباحثين بخصوص قيمتها العلمية ودورها في صيـرورة التفكير النقدي عند العرب، فرأى بعضهم أنها تؤرخ لطفولة النقد العربي التي ضاعت كما ضاعت طفولة الشعر الجاهلي[1]، ورأى آخرون أنها تمثل مرحلة الانطباعية في تاريخ النقد العربي، وأن الأحكام والتصورات التي تنطوي عليها تأتي دائما غير معللة.[2]

ويمكن القول أن الملامح العامة والإرهاصات الأولى الدالة على بداية تشكيل التفكير النقدي عند العرب، تتمثل في تلك الآراء والأحكام التي تنسب إلى ما يسمى مرحلة النقد الشفوي، إذ تمثل– بالرغم مما توسم به من الانطباعية وتجزئية – مرجعا نظريا رئيسيا لمرحلة النقد المدون، إذ وظف النقاد اللاحقون هذه الآراء والأحكام الشفوية لدعم تصوراتهم وتأكيدها، وهو مـا أكد عليه "**أمجد الطرابلسي**" بقوله:‹‹ لقد ورث النقد التراث الشفوي الغزير الواعـد والبسيط الساذج، وهو إرث سيحافظ عليه ورثته المباشرون أشد المحافظة، وسيحترمونه ويؤمنون به ويقدسونه، وقليل ما يعارضونه، وسيحرصون على وجود شواهد بمؤلفاتهم النقدية››[3]، لذلك يمكن عد النقود الشفوية التي تواترت على ألسنة النقاد الشعراء والعلماء والرواة واللغويين جزءا لا يتجزأ من هوية التـراث النقـدي، ومن ثم لا يمكن لأي حديث عن هذا التـراث أن يكون كاملا ودقيقا بدونهمـا، فالطبيعة الشفويـة للآراء والأحكام النقدية خلال العصر الجاهلي والقرنين الأولين للهجرة غير واضحة وتفتقر إلى رؤية منهجية متناسقة.

---

[1]- ينظر، إبراهيم أحمد طه، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، د ط، دار الحكمة، بيروت، لبنان، دت، ص 11.

[2]- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)ط1، دار الشوق، عمان، 1993م، ص 646.

[3]- أمجد الطرابلسي، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة، إدريس بلمليح، ط1،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،1993م، ص 21.

وقد كان نضج الوعي النقدي عند العرب وتطوره يقتضي التخلص من ردود الأفعال الانطباعية التي ترتبط بلحظة قول الشعر والانتقال إلى سياق آخر تكون فيه صياغة موقف معين وليدة تأمل طويل وتحليل عميق. ولم يكن هذا الأمر ممكنا إلا في ضوء شيوع عملية الكتابة وتحولها إلى سلوك حضاري ونشاط ثقافي يندرجان ضمن حركة علمية واسعة، لأن ‹‹ الكتابة تجعل التفكير رصينا، في حين أن التلقين الشفوي مفتقر إلى التناسق، وهكذا نجد أنفسنا، منذ القرن الثالث الهجري، إزاء أعمال متقنة في مجملها تخضع لتصميم محكم وتصاغ بدقة، وهو ما ييسر مهمة المؤرخ، إذ يزوده بوثائق صحيحة، ويمكنه من استنباط نتائجه بالاستناد إلى حجج صلبة ومتماسكة ››[1].

2 _ تجليات الثقافية اليونانية في النقد العربي القديم

لا شك أن البحث في مدى حضور الآخر وإسهامه في نشأة العلوم والمعارف العربية القديمة من الإشكالات الكبرى التي شغلت الدارسين العرب والمستشرقين، فالنقد الأدبي ما هو إلا انعكاس للتفكير العام السائد قديما، والتراث اليوناني قد أضاف الكثير للعرب في المنطق والفلسفة والعلوم والنقد كذلك. لكن المشكلة تبقى قائمة في تحديد مواطن هذا التأثير ومداه، فهل غير النظرة النقدية العربية؟ أم ساهم في إعادة توجيهها؟ أم أنه أثراها فقط؟.

كان للدارسين آراء متقاربة في هذه القضية، "**فجابر عصفور**" يرى أن الفكر اليوناني قد أسهم في تعميق الخبرة النقدية عند العرب، ومنحها قدرا من رحابة الأفق جعلها أقدر من على الاقتراب من طبيعة الظاهرة الأدبية، وتفهم خصائصها النوعية، كما أن الفكر اليوناني أضاف خبرات جديدة إلى الوعي النقدي المتأصل في البيئة العربية، وقدم لهذه البيئة حلولا توصل إليها نقاد آخرون أكثر عمقا ووعيا لكثير من المشكلات الأدبية النقدية والمثارة، منذ أوائل القرن الثالث، وربما قبل ذلك بقليل.[2]

كما يؤكد "**قاسم مومني**" الفكرة نفسها حيث أكد على أهمية الدور الذي لعبه الفكر اليوناني الذي كان يضع بين يدي دارسه أساليب جديدة للتفكير والتأمل، فكان أكثر من يظهر عندهما تأثير الفكر اليوناني عموما والنقد الأرسطي على وجه الخصوص، "**قدامة**

---

(1)- **المرجع السابق**، ص 15.

(2)- ينظر، جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، ط 3، **المركز الثقافي العربي**، بيروت، 1992م، ص 144.

بن جعفر"، و"**إسحاق بن وهب**"، فهما قد نصا صراحة على تأثرهم، والأول بينهما قد نال أكبر قدر من العناية من قبل الدراسيين الذين اتفقوا على تأثره، وتمثله لأفكار "**أرسطو**" النقدية.[1]

و ربما يمكن اعتبار النصوص المتوافرة خلال هذه الفترة لم تكن تسمح بتقديم حكم علمي حاسم، بحيث لم تظهر الترجمة العربية لكتاب "الخطابة" "**لأرسطو**"، فكانت جل المواقف من قضية الأثر الأرسطي في النقد العربي تتراوح بين الاعتقادات والظنون المبنية على المقارنات السطحية بين بعض العناصر المتشابهة في النقد العربي، فكان بطبيعة الحال لهؤلاء البلاغين بفضل ثقافتهم العربية العميقة والمتفتحة على الفكر الأرسطي، أن يفيدوا الدرس البلاغي العربي، بتلقيحه ببعض الأفكار الأرسطية تلقيحا ينمو في الغالب عن فهم ووعي جدير بالتقدي.[2]

وفي هذا السياق يقرر"**أمجد الطرابلسي**" حقيقة يقول فيها:‹‹ عرف القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الذي يليه مدرسة بلاغية عربية مغربية تستحق أن يوليها المهتمون بالدراسات النقدية والبلاغية عناية كبيرة، وهي مدرسة يبدو واضحا من خلال الآثار التي تركها لها أعلامها، أنهم كانوا جميعا مع تمكنهم حق التمكن من اللغة العربية وآدابها بعامة، ومن الدراسات النقدية والبلاغية بخاصة››[3].

فهذه المقولة من الناقد "**أمجد الطرابلسي**" تدل دلالة واضحة على أن الأثر المغربي في هذا الحقل الأدبي لا يجحده إلا المتجاهلون لهذه الحقيقة، وقد امتاز هؤلاء النقاد بميلهم الفقهي مما جعل هذا الجانب يتمثل في نظرياتهم النقدية، فقد عرفوا عن النصوص التي تمثل الهجاء والغزل الإباحي، كما وقفوا موقف الرفض من المبالغة، والغلو في الآراء و الأحكام [4]. وممن نهج هذا المنهج نجد "**ابن حزم**"، و"**القاضي عياض**"، و"**ابن سيده**"، و"**ابن رشد**"، و"**الشاطبي**"، و"**ابن الأحمر**"، و"**ابن شرف القيرواني**" وغيرهم، فهؤلاء قد أفادوا من النظريات الفلسفية والمنطقية والبلاغية، بيد أنهم لم يحيدوا عن هدفهم المتمثل في تأسيس منهج يتلاءم مع ما يشترطه الإسلام في الفن.

---

[1]- ينظر، قاسم مومني، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، د ط، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، 1982م، ص 104.

[2]- ينظر، جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي،ص 146،145.

[3]- **أمجد الطرابلسي، نقد الشعر** عند العربي حتى القرن الخامس للهجرة، ص 157.

[4]- ينظر، المرجع نفسه،ص 178.

لذا فالنقد المغربي القديم عني به معاصروه وسابقوه، ووطنوا نظرياته على طبيعة العصر من الجوانب التي تناولت بقضايا البديع، التخييل، اللفظ والمعنى، وهي قضايا شغلت عندهم حيزا كبيرا، وظلت تسيطر على اهتمامهم زمنا لتزداد اتساعا على مدى القرنين الرابع والخامس الهجري. أضف إلى ذلك ما طفحت به مؤلفاتهم من طرح لقضية القديم والجديد، كما تعمقوا فيما له علاقة بالإيقاع الشعري، ولكن من غير أن يعنوا بهذا المصطلح، وإنما تنافسوا فيما يعتري بنية البيت وتركيبته، فأدى ذلك إلى اختراع مصطلحات جديدة مثل السناد، الإقواء، الإكفاء وغيرهما، وهو ما يعني أن هؤلاء النقاد كانوا مأخوذين ببهرجة اللفظ، وجمال الشكل، وقد يكون ذلك ناتجا عن ميل النفس الطبيعي إلى الزخرفة، وبريق الصورة، وروعة البيان.

وقد تصدى لهم أنصار المعاني بيد أن الأمر لم يتغير كثيرا في الواقع، حيث سار الخلف في المغرب أمثال "**عبد الكريم النهشلي**"، و"**القزاز**" و"**القاضي عياض**"، و"**ابن رشيق**"، و"**ابن شرف**"، و"**الحصري**" على نهج السلف في المشرق من أمثال "**ابن سلام**"، و"**ابن قتيبة**"، و"**الآمدي**"، و"**قدامة بن جعفر**"، و"**الجرجاني** و**الجاحظ**".[1]

3 _ النقد في القرن الرابع الهجري

شهد الأدب العربي في أواخر القرن الثاني للهجرة إلى القرن الثالث للهجرة حركة نقدية واسعة وديناميكية، حيث تنوعت قضايا النقد والبلاغة، وتعددت الآراء واختلفت المناهج فكانت تلتقي أحيانا وتفترق أحيانا أخرى، والمتتبع لهذه الآراء يجد أن النقد العربي القديم اهتم بدراسة الأثر الفني أو النص الأدبي دراسة تعتمد على الذوق والتأثر والقدرة على التمييز، ثم تفسير هذا النص تفسيرا يعتمد هو الآخر على الشرح والتحليل والتعليل، وهذا لإظهار القيم الجمالية التي أبدعتها عبقرية الفنان، كما يظهر لنا أيضا المساوئ أو عناصر الضعف التي وقع فيها الفنان الذي كان ميدانه أوسع بكثير، حيث اتسعت دائرة إبداعه باتساع الميادين الثقافية من تدوين العلوم المختلفة وترجمة بعض الآثار الأدبية، فشمل بذلك كل أنواع الفنون الأدبية، فكثرت المصنفات التي عالجت فنون الكلام – كلام السابقين وكلام المعاصرين– والمختارات الشعرية، ودواوين الشعر

[1]- ينظر، قاسم مومني، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ص 325.

التي تم تدوينها للمحافظة عليها من الضياع والإتلاف، و تلك الآثار هي التي أصبحت تسمى في أيامنا كتب النقد الأدبي، حيث أثار فيها النقاد كثيرا من القضايا النقدية التي وقفوا عندها والتي أصبحت فيما بعد مصطلحات متفق عليها، تعاورها النقاد في كتاباتهم ومؤلفاتهم فاتفقت آراؤهم مرة، واختلفت مرة أخرى بحكم تكوين ثقافة كل ناقد. ولم يختلف الأمر في القرن الرابع للهجرة، إذ عرف النقد نقلة متميزة، حيث استوعب ما سبقه من مشكلات ونظريات، وانكب على قضايا العصر وتخصص فيها. وقد تجلى ذلك في اعتنائه بمستجدات الساحة الشعرية، والتلاؤم مع الجديد الذي انبثق عنها. كما أنه أخذ يتحرر – وبشكل كبير – من مصطلح القديم والصياغة العامة للأحكام، واتجه إلى الدقة والتحديد مستنيرا بالروافد الأجنبية والثقافية الفلسفية[1]، ونجد ضمن هذا التطور بروز أسلوبين هامين هما: التنظير والنقد التطبيقي، فيظهر تنوع مشارب النظريات النقدية والفنية الخالصة بين التنظير المعتمد على الفلسفة أو المستفيد منها، وكذلك النظريات النقدية الموسعة من خلال دراسة الإعجاز القرآني. فأصبح خط النظرية النقدية واضح المعالم في إنتاج عدد من النقاد، أمثال "**ابن طباطبا**"(ت322هـ)، و"**قدامة**"(ت326هـ)، و"**الفارابي**"(ت339هـ)، و"**الرماني**"(ت 339هـ)، و"**أبو هلال العسكري**"(ت395هـ)، و"**أبو بكر الباقلاني**"(ت403هـ)، فنظرة "**ابن طباطبا**" المتميزة لقضية اللفظ و المعنى و العلاقة بينهما، ربما يكون من الأوائل الذين صرحوا بعبارة واضحة عن أزمة المحدثين في سبق القدماء لهم إلى المعاني[2]. لكن "**قدامة**" كان أكثر دقة وصرامة منهجية من ابن "**طباطبا**"، حيث صرح في كتابه (نقد الشعر) برغبته في سد النقص الذي عرفه التأليف في النقد كعلم مستقل[3]، ولهذا اهتم بتقعيد القواعد واعتمد مصطلحات ظل النقد يعتمدها طيلة القرون السابقة، فكانت ثقافته الفلسفية والمنطقية شديدة الحضور في كتابه(نقد الشعر)، ويرى "**إحسان عباس**" أن كتاب "**أبي هلال العسكري**"(الصناعتين) ‹‹ صورة عجيبة لعدم الاستقلال بأي رأي ذاتي، وليس "**لأبي هلال**" فيه إلا تنسيق المادة وترتيبها في فصول

---

(1)- ينظر، إبراهيم أحمد طه، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 141.

(2)- ينظر، أحمد أبو الحسن محمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق، طه الحاجري و محمد زغلول سلام، د ط، المكتبة التجارية. **الكبرى، مصر**، 1956م، ص 123.

(3)- ينظر، قدامة أبو الفرج بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق، **كمل مصطفى**،ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت، ص17.

والاستكثار من الأمثلة ››[1]، وقد يكون في كثرة ورود مصطلح (علم البلاغة) في كتاب الصناعتين يدل على أنه خير من يمثل النقطة التي أخذ النقد يتحول فيها إلى بلاغة.[2]

في حين اتجه البعض الآخر إلى الاستفادة من النقد المؤسس على شعرية أخرى غير الشعرية العربية أمثال "**الفارابي**". لكن دائرة النقاد التي عملت على توسيع فهم الأدب من خلال البحث في الإعجاز القرآني كانت دون ريب الأقرب إلى خصوصية الأسلوب القرآني وأسراره، ولذا يصعب تصنيف بحث مثل بحث "**الرماني**"، فقد اتحدت فيه صفة اللغوي، بالبلاغي، بالمتكلم المعتزلي، بالناقد المتتبع لقضايا النقد، والنص الشعري خاصة، غير أن "**الباقلاني**" استطاع الاستفادة من الإعجاز للتدليل وتمحيص كثير من المقولات التي كانت سائدة في النقد، فكان نتيجة لذلك التصور تطبيق آرائه على نصوص بعض الشعراء، فتوصل إلى فكرة مفادها تفاوت إنتاج الشاعر نفسه، وصياغة المبادئ الأولى لنظرية النظم بعد تواصله إلى عجز البديع أو غيرها على تكوين نص جيد .[1]

ولكن الفرق يبقى واضحا بين هذا الإنجاز ومحاولات التنظير التي تمت في القرن الثالث الهجري، إذ يمكن اعتبار هذه المحاولات أقرب إلى أن تكون متكاملة ومقصودة، عكس تلك النصوص المتناثرة في أبحاث البعض أمثال "**ابن سلام**"، و"**الجاحظ**" و"**ابن قتيبة**"، فتلك نظريات موزعة داخل كتب موسوعية، أو وضعت أصلا لتأريخ الأدب وتصنيف الطبقات.

ولم يكن الاتجاه إلى التنظير وحده أسلوب النقد خلال هذا القرن، بل إن إشباع الدراسة النقدية التطبيقية يعد تطورا هاما، أسهم إلى حد بعيد في تطوير الأدب من جهة، ومد النظرية النقدية بخلا صات ونتائج لم تتهيأ لها بالبحث و التأمل والترجمة. والحقيقة أن الخصومات كانت أهم محرك لهذا اللون من الممارسة النقدية، سواء تعلق الأمر "**بأبي نواس**" أو" **بأبي تمام**" أو "**بالمتنبي**"، فالكتب التي تناولتهم من خصوم أو معجبين أخذت فيها التطبيقات شكلا آخر، فمن التطبيقات الجزئية على بيت أو بيتين إلى دراسة إنتاج شعر شاعر بأكمله، ومن الموازنة العامة البسيطة، إلى الموازنة الكلية من خلال تتبع الظواهر المختلفة في الأعمال بشكل كامل، كما أن تتبع الأخطاء التي يقع فيها الشعراء

---

[1]- إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص 355.
[2]- ينظر، محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، د ط، دار النهضة، مصر، د ت، ص 331، 332.
[3]- ينظر، إحسان عباس ، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص 80.

أصبح منهجا، أو مشروعا كبيرا، فكان كتاب(سرقات أبي نواس) " **لمهلهل بن يموت**"(ت304هـ)، صورة لمعركة حول الشاعر، ونجد كتاب(أخبار أبي تمام) "**للصولي**"(ت 304هـ)، مرحلة من أعمال تطبيقية، اهتمت بالصدام حول شعرية "**أبي تمام**" ومختلف القضايا المرتبطة بها، ثم(الموازنة بين الطائيين) " **للآمدي**"(ت370هـ)، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه) " **للقاضي الجرجاني**" (ت 392هـ)، وهما تتويجا لحركة نقدية واسعة دارت حول شعرية "**المتنبي**" وما أثارته من مسائل نقدية[1]، وهو ما يمثل بابا خصبا من النقد التطبيقي.

و يمكن القول إن التطبيق آنذاك لم يكن مرتبطا دائما بالتنظير، فالنقد المتأثر بالنقد اليوناني لم ينتج تطبيقا واضحا، بل امتزج بشرح الدواوين الشعرية التي تعد رافدا من روافد حركة النقد التطبيقي، التي كانت في الأساس اختلاطا بالدراسة النقدية خاصة مع قضية "**المتنبي**" وناقديه و شراحه[2] هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا وقفنا عند الأبحاث التي أنجزت حول شعر "**أبي تمام**"، فإننا نجد عددا هاما من القضايا التي مسها النقاد، سواء فيما يتعلق بعمود الشعر، أو تلقي عناصر النص نفسه، كالألفاظ والتشبيه والاستعارة والبديع ... الخ.[3]

ومن تلك الآثار التي خلفها نقاد هذا العصر، والتي صنفت إلى مجموعات حسب المؤلف و منهجه وموضوعه:

أولا: طائفة نهجت في النقد منهجا تاريخيا فعهد أصحابها إلى إحصاء مشاهير الشعراء بالتعرض إلى تاريخ حياتهم والعوامل المؤثرة في إنتاجهم، فوقفوا عند موطن الجمال الفني في شعرهم وأشادوا به، وأحصوا ما وجه إلى بعضهم من النقد، ويتقدم هذه الكتب النقدية كتاب ‹‹الشعر و الشعراء›› "**لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة**".

ثانيا: طائفة عمدت إلى إحصاء المآخذ التي آخذها النقاد على الشعراء، ومن أهم هذه الكتب التي اقتصرت على هذا النوع ‹‹ الموشح ›› " **للمرزباني**".

---

(1)- ينظر، صلاح فضل، شفرات النص، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1999م، ص 192.

(2)- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص 132،135.

(3)- ينظر، عبد الفتاح لاشين، **الخصومات** البلاغية والنقدية في **صنعة أبي تمام، دط، دار المعارف، مصر**، 1982م، ص 69، 72.

ثالثا: طائفة قصرت جهدها على دراسة شعر شاعر أو شاعرين، منتهجين في ذلك أسلوب الموازنة، ومن هذه الكتب: « الموازنة بين الطائيين » " **لأبي القاسم الحسن بن بشير الآمدي**"، وكتاب « الوساطة بين المتنبي و خصومه » "**للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني**".

رابعا: وطائفة تعد مصنفاتها من النقد العام، حيث أنها لم تختص بشاعر أديب بعينه و إنما نظرت إلى الفن الأدبي في شكله و جوهره، فوقفت عند عوامل سموه، وأسباب ضعف[1]، ومن تلك الكتب « عيار الشعر» " **لابن طباطبا**"، وكتاب « نقد الشعر» " **لأبي فراج قدامة بن جعفر**"، وكتاب « الصناعتين » "**لأبي هلال العسكري**"، وكتاب « العمدة في صناعة الشعر و النقد » "**لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني**"، وكتاب « المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر » "**لضياء الدين بن الأثير**".

وكتب كانت أشمل من السابقة ككتاب « البيان و التبيين » "**لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ**"، وكتاب « الكامل» "**لأبي العباس المبرد**"، وكتاب « الآمالي » "**لأبي علي القالي**"، وآخرون برزت أعمالهم في كثير في المصنفات والكتب و هو الأمر الذي زاد حدة الاختلاف في التصورات و الرؤى، فكل منهم يريد أن يخدم غاية محددة بفوائد نفعية، دون الالتفات إلى الغايات الأخرى لا عن طريق التأثير فحسب، بل خدمة لمحتوى النص الأدبي.

فكان بذلك لثلاثة أشخاص قوى « دافعة في توجيه النظرية الشعرية في نقد القرن الرابع »[2]، وهؤلاء هم : "**أرسطو**"، و"**أبو تمام**"، "**المتنبي**"، الأمر الذي فرض على النقاد التعمق في نوعية العلاقة بين النظري و التطبيقي، مما أعطى للنقد في هذا القرن شخصيته المتميزة عن بقية العصور السالفة، حيث وقف النقاد عند دراسة قضايا مهمة:

- النقد في علاقته بالثقافة اليونانية.
- الصراع النقدي حول "**أبي تمام والبحتري**".
- المعركة النقدية التي دارت حول "**المتنبي**".

---

[1]- ينظر، بدوي طبانة، دراسات في النقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ص 176 .
[2]- المرجع نفسه، ص111.

ومن القضايا التي استقطبت أنظار النقاد وبخاصة في – القرن الرابع الهجري– قضية اللفظ والمعنى، الطبع و الصنعة، والقدم والحداثة...، وتعد هذه القضايا من أخطر القضايا النقدية التي كثر الحديث فيها واختلف النقاد حولها ‹‹ فكان من المحتم أن تكون ظاهرة توارد الشعراء على المعاني وتعاقبهم على الأوصاف والتشبيه، وتعاورهم العبارات والأساليب من الظواهر الطبيعية فيه، عبر مراحل تطوره المختلفة، وتاريخه الطويل، قبل أن يؤول إلى ما يعرف في مجال النقد العربي بقضايا النقد العربي القديم››[1].

فكانت الفاصلة بين شاعرين أو أكثر المحور الذي يدور حوله كثير من قضايا النقد القديم بأصول بسيطة، تلخص الإعجاب العام لدى النقاد بشاعر دون الآخر، ثم تطورت هذه الظاهرة تطورا واسعا في القرن الرابع بعد ما وصل الشعر العربي الذروة الفنية في هذا العصر على يد كبار الشعراء، واتخذ له صورة ثابتة تتمحور حول الموضوعات والمعاني القديمة، والتي تكاد في مجملها متكررة، و لكن بعد ظهور اتجاه الشعر الجديد، وظهور أصحاب البديع خاصة، حيث ادعوا لأنفسهم الإبداع الفني والعبقرية، تصدى لهم النقاد، فظهر أنصار اللفظ و أنصار المعنى، أنصار القديم وأنصار الجديد، وكذلك أصحاب الطبع و الصنعة.

وبظهور هذه الاتجاهات، ظهرت دراسات حول هذه القضايا النقدية بصفة منهجية واضحة خاصة بعد ظهور "**أبي تمام** و**البحتري**"، وصارت لها أصولها الفنية، ووجدت لها في النقد الأدبي صدى قويا، فألفت فيها مصنفات عديدة تناولت هذه القضايا، فتفاوتت أراء النقاد، وأصبح النص القديم هو الأساس لإصدار الأحكام النقدية. وهو ما أكد عليه "**إحسان عباس**" بوجود أثر خطير لشخصيات ثلاث يتمحور حولها النقد: "**أبو تمام**"، و"**المتنبي**"، و"**أرسطو**"، وهي التي أخصبته واضطرت النقاد إلى أن يتعمقوا في الأبحاث النقدية. ويمكن القول أن تأثير هذه الشخصيات الثلاث أفاد النقد الأدبي من عدة جوانب:

- إعطاء مشروعية لدراسة الأدب المحدث بعدما كان النقد مقتصرا على تراث القدماء.
- فسح المجال لاختبار صحة كثير من المقولات الموروثة خاصة حينما دفع الدارسون خارج مجال التنظير إلى مضايق التطبيق ومتطلباته.
- التمكن من محاولة فهم بعض المفاهيم النقدية الجديدة، سواء انتهى إليها الناقد من

[1]_ ينظر، محمد خير شيخ موسى، فصول في النقد العربي و قضاياه، ط 4، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص 143.

خلال تطوير المفاهيم الموروثة، أو من خلال الاسترفاد خصوصا في أبحاث "**أرسطو**".[1]

وعلى هذا الأساس تشكلت المواقف النقدية اتجاه القديم والمحدث، أو اتجاه القدماء و المحدثين- في تاريخ النقد العربي – حيث اتجه فريق إلى الشعر وما يطلب من قائله...، وفريق يدعوا إلى التمسك بالتراث المحفوظ، ويطالب الشاعر أن يحتذى به، فظهر بذلك مفهوم لهذين المصطلحين في العصر العباسي حين « التقى القديم الأدبي يومئذ وهو تراث العصر الجاهلي بالجديد الأدبي وهو إبداع هذه الطبقة من الشعراء الذين يمنون بعروقهم إلى الجنس العربي أو الفارسي أو اليوناني من ناحية »[2]، وبهذين الاتجاهين قديم يعني بالأصالة والطبع ويفرض الإقتداء والإتباع، ومحدث يعني بالاجتهاد، ومعنى ذلك الخروج والتحرير و التكلف، فقد تنبه "**الصولي**" إلى ما أضافه المحدثون من قيم على المعاني قائلا: « وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده، وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها ومعاني أومؤا إليها، فأتي بها هؤلاء وأحسنوا فيها في شعرهم مع ذلك أشبه بالزمان »[3].

و الخلاصة أن نقاد القرن الرابع الهجري على الرغم من إعجابهم بجودة إنتاج – القرنين الثاني والثالث الهجريين- إلا أنهم لم ينظروا إليه مستقلا عن الموروث القديم إذ أصبح معيارهم الأساسي في تقويم الشعر المحدث هو القيمة الفنية في ذلك، كما اعتبروا هذا المعيار أهم وسائل تكريس القدم الشعري على مستوى المضمون، و تثبيت محتوى الفعل الشعري الذي يحكم في حركته.

---

(1)- إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص141.

(2)- ينظر، محمد الكتابي، الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، تحقيق، عبد الحميد الهنداوي، ط1، **المكتبة** العصرية، بيروت، لبنان، ص81.

(3)- محمد أبو بكر بن عبد الله الصولي، أخبار أبي تمام، تحقيق، خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام، ط1، دت، ص17.

4- اتجاهات النقد المغربي القديم

انطلاقا من الإشارات السابقة، فإن النقد الأدبي في المغرب العربي قد عرف اتجاهات مختلفة يمكن أن نجملها فيمايلي :

- الاتجاه الأول:

اشتمل على ثقافة عربية خالصة اعتمادا على الذوق العربي وحكمه على النص، ويمثل هذا الاتجاه "**أبو القاسم الثعالبي الفاسي**" بكتابة "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي"، ومنهج دراسته هو أنه يتناول القصيدة بيتا بيتا، شارحا كل واحد منها بصورة مختلفة من لغة وفكرة وعروض وبلاغة، ومن هذا الاتجاه أيضا كتاب"رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة" شرح فيه مقصورة "**حازم القرطاجني**" في مدحه للمستنصر الحفصي " **للشاطبي**".

- الاتجاه الثاني:

تأثر هذا الاتجاه بتيار الفكر اليوناني والنقد الأرسطي، ومن النماذج التي تمثله "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" **لحازم القرطاجني**"، كذلك كتاب "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع" "**لأبي محمد القاسم السجلماسي**"، وكتاب"الروض المريع في صناعة البديع" " **لابن البناء العددي المراكشي**".

- الاتجاه الثالث:

اهتم أصحاب هذا الاتجاه بالإعجاز القرآني وأوجهه البيانية، ويمثل هذا الاتجاه بصورة جلية "**القاضي عياض**" في مؤلفيه" الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و" بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع الفوائد".[1]

وقد تتوزع الاتجاهات النقدية في المغرب العربي توجها آخر:

- **الاتجاه الأول:** وهو اتجاه ديني صرف، ينطلق من نصوص دينية لغايات تشريعية أو غير تشريعية، ومنه الأبحاث التي تناولت قضية الإعجاز والبلاغة النبوية.
- **الاتجاه الثاني:** وهو اتجاه أدبي محض، ويتمثل في الشروحات الأدبية، و الشعرية منها خصوصا.
- **الاتجاه الثالث:** يهتم بالتقعيد في المقام الأول، و يمثله:"**ابن البناءالمراكشي**"

[1]- ينظر، مصطفى أبو شوارب، إشكالية الحداثة (قراءة في نقد القرن الرابع الهجري)، د ط ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ت، ص 155.

بكتابه "الروض المريع"، وكذلك "**السجلماسي**" بكتابه "البديع"، و"**ابن رشيد السبتي**" بكتابه " أحكام التأسيس في إحكام التجنيس".

مما يبدو من هذا التقسيم أنه تأكيدا لما قيل سابقا، إذ المصطلحات تلتقي فيما بينها و تتوحد في تعريفها و اهتماماتها، وإبراز هذه الاتجاهات الثلاثة في المغرب العربي لا نعني من خلاله تناسي الجهود الجبارة التي بذلها "**ابن رشيق**" في هذا المجال، لأن الوصول إلى استنباط طائفة من المناهج التي سادت ربوع المغرب العربي لم يكن وليد يوم أو ليلة، وإنما مرت بقضايا متداخلة فيما بينها أفضت في نهاية المطاف إلى هذه الاستنتاجات، بالرغم من أن هذا النقد لم تسعفه المضان للوصول إلى رؤية واضحة بسبب غياب المصادر من جهة، و اختلاط هذا النقد بالبلاغة من جهة أخرى.[1]

لذلك ليس غريبا أن نجد النقد في المغرب العربي قد عرف تأخيرا زمنيا عن نظيره في المشرق العربي بسبب توجه المغاربة توجها فقهيا وإبداعيا وخلو مجالسهم من التنافس على ما يبدو، وانشغالهم بالصراعات الداخلية أحيانا، فلما استتب الوضع للدول التي استقلت بنفسها، راحت كل واحدة منها تعمل على استقطاب الأدباء والشعراء، وتزيين بلاطها بطائفة من خيرتهم.

ومهما يكن، فإن النقد المغربي قد استطاع أن يؤصل نفسه، ويؤسس مدرسة نقدية كان لها الأثر فيما لحقها من نظريات نقدية متجددة فيما بعد، خاصة في القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الذي يليه، حيث كانت هناك مدرسة بلاغية عربية مغربية تستحق أن يوليها المهتمون بالدراسات النقدية والبلاغية المقارنة عنايتهم، حيث كان أعلامها أحسن إطلاعا على المنطق الأرسطي، وأعمق فهما لمضمون كتاب " فن الشعر" و"الخطابة".[2]

فهذه المقولة من الناقد "**أمجد الطرابلسي**" تدل دلالة وواضحة على أن الأثر المغربي في هذا الحقل الأدبي لا يجحده إلا المتجاهلون للنقد المغربي، إذ كان لميلهم الفقهي انعكاسا واضحا على نظرياتهم النقدية، فقد عزفوا عن النصوص التي تمثل الهجاء والغزل

---

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص145.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 160.

الإباحي، كما وقفوا موقف الرفض من المبالغة والغلو في الأداء والأحكام[1]. وممن نهج هذا الاتجاه نجد "**ابن حزم**" و"**ابن رشد**" و"**الشاطبي**" و"**ابن الأحمر** " وغيرهم كثير، فهؤلاء قد أفادوا من النظريات الفلسفية والبلاغية وكذلك المنطقية بيد أنهم لم يتراجعوا عن هدفهم بما يشترطه الإسلام في الفن.

ما يعنيني من هذه التوطئة هو أن ما ظهر من نظريات مشرقية، وما برز من نقاد وأدباء يمكن القول إنهم قدموا خدمات جلية للأدب في المغرب العربي، وكانت محاولاتهم جميعا رافدا عظيما أفاد منه الدارسون والنقاد في هذه الربوع المغربية.

5- الروافد الثقافية للنقد في المغرب العربي

ارتكز النقد المغربي في ظهوره وتطوره على أسس صلبة مكنته لاحقا من الاستقلال بنفسه، و من هذه الروافد:

1- **رافد مشرقي:** ساهم في إثراء النقد المغربي، وذلك عن طريق الاتصال و التلاقح الفكري.

2- **رافد محلي:** برز في تلك الحركات الفكرية التي اشتهرت بها المراكز الثقافية في المغرب، والتي شهدت قضايا مختلفة تتعلق بالشعر والنثر، وبالعلوم الدينية خصوصا، وغيرها.

3- **رافد أجنبي:** تمثل في الإطلاع على الفلسفة و المنطق، وهما فنان قد أثريا الفكر الإسلامي في المغرب العربي.[2]

إلا أننا حين نمعن النظر في النقد المغربي لا نقطع الصلة بينه وبين نظيره في المشرق العربي، لأن القريحة العربية – و إن تباعدت سكنا – فإنها تتشابه إنتاجا، بسبب إشتراكهما في الهموم، وفي العادات والتقاليد في التي تكاد تتماثل مابين الشرق والغرب، وهو ما سيتضح في الفصل الموالي من خلال دراسة بعض الأغراض الشعرية التي احتذاها المغاربة عن المشارقة للتعبير عن أحاسيسهم وأذواقهم، متخذة من شعر "**ابن شرف القيرواني**" نموذجا باعتباره من فطاحل الشعراء في القرن الرابع الهجري.

---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 162.
[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 135.

الفصل الأول: ابن شرف القيرواني حياته_ ثقافته وأدبه_

- تـــوطئـــة

أولا: ابن شرف النـــاقد الشاعـــر

1- حيـــاتـــه و نسبـــه

2- شخصيته الثقافية والعوامل المؤثرة فيـه

ثـانيا: آثـاره الأدبيـة

1- آثاره النثـرية

2- آثاره الشعـرية

ثالثا: نمـــاذج من شعـــره

1- المرحلة الأولى

- المديح
- الغزل
- الوصف
- الهجاء

2- المرحلة الثانية

- الرثاء
- الزهد

توطئة

كانت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب العربي تليها قرطبة في الأندلس، ولقد قصدها أبناء المغرب وغيرها من البلاد المجاورة. وقد أطنب المؤرخون في الحديث عن القيروان وما بلغته من نهضة ثقافية وأدبية، فقد ظلت طيلة قرون عديدة مركز الإشعاع الثقافي والديني، كما كانت عاصمة سياسية طيلة نفس المدة تقريبا[1].

وقد عاشت القيروان قمة ازدهارها الفكري والثقافي في الفترة الممتدة ما بين بداية القرن الثالث الهجري ومنتصف القرن الخامس، فأصبحت في طليعة الحواضر الإسلامية الكبرى، ويعد العصر الصنهاجي العصر الذهبي لإفريقية، حيث بلغت فيه ذروة حضارتها ومجدها، فتمتع أهلها بالرخاء والثروة، والعلوم والفنون، فازدهر الأدب، وتدرج في مدارج الرقي، وراجت سوق الفكر والثقافة رواجا عظيما[2]. وكان لأمراء البيت الصنهاجي في ازدهار ونهوض تلك الحضارة، بما عرف عنهم من حب للعلم وتشجيع للعلماء، وإغراقهم الأموال الطائلة على العلماء والأدباء ، واحتضانهم وتقديم كل دعم مادي ومعنوي لهم، ولكل هذا صارت القيروان أيام "**المعز**" قبله العلم، والتقى فيها الشوامخ من العلماء، وأئمة الفصاحة والبيان، وحفلت بجمع غفير من الأدباء والشعراء والكتاب حتى غدت بحق ندا لغيرها من العواصم الأخرى، وراحت تزهو وتفتخر بما وصلت إليها من حضارة وثقافة.

ويكفي التدليل على نهضة العلوم والأدب في هذه المدينة أن نجد "**ابن شرف** و**ابن رشيق**" من نقادها الشعراء – دون غيرهم مادة لكتاب خاص بهم هو "أنموذج الزمان"، لنعلم إلى أي حد كان نشاط الحركة الأدبية في أيامهم مزدهرا[3] وهذا عن القيروان، لذا لا نعجب أن يرثيها الشعراء حين نزلت بها يد الثوار الخراب، ولحق بها الدمار، فيقول "**ابن شرف**":

تَرَى سَيْئَاتَ القَيْرَوانَ تَعَاظَمَتْ * فَجَلَتْ عَنِ الْغُفْرَانِ وَ اللهُ غَافِرٌ**
تَرَاهَا أُصِيبَتْ بِالْكَبَائِرَ وَ حْدَهَا * أَلَم تَكُ قَدَّ ما فِي البِلادِ الكبائرُ**[4]

---

[1]- ينظر،ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، تحقيق، **عمر فاروق الطباع**،ط1، دار المعارف، مؤسسة ابن حزم، بيروت، لبنان، د ت ، ص 31.
[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص 50،51.
[3]- ينظر، المصدر نفسه، ص60.
[4]- **محمد بن شرف** القيرواني، الديوان، تحقيق، **حسن ذكرى حسن**، د ط، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1983م، ص 65.

أما عن المهدية وبينها وبين القيروان مسيرة طويلة، فكان فيها بلاط فاخر، التف حوله ثلة صالحة من رجال العلم وأعلام الأدب، وكبار الفلاسفة والشعراء، وكانت أيام المهدية – على صغر المملكة وتعاقب الحروب بينها و بين الأعراب – أيام تشهدها كتب التاريخ والأدب.

وعلى العموم فإن العلم ازدهر بإفريقية في القرنين الرابع والخامس الهجري ازدهارا لم يسبق له مثيل، بسبب انتشار العلم، وحث الأمراء تابعيهم على تعلم أصول الأدب والشعر، وكان من هؤلاء أمير المهدية، "**تميم بن المعز**"، حيث كانت القيروان في عهدة وجهة العلماء والأدباء، تشد إليها الرحال من كل فج، لما يرونه من إقبال "**المعز**" على أصول العلم والأدب، وعنايته بهم[1].

كما كان للمكتبات والكتب في ذلك العهد شأن كبير، فكتب التاريخ تذكر أن "**المعز**" أهدى مرة إلى "**أبي بكر عتيق السوسي**" تسعمائة مجلد من نفائس المصنفات، أرسلها إليه على رؤوس الحمالين عقب مجلس علمي، استحسن فيه الأمير آراء هذا الأدب.[2]

وعندما سقطت الإمارة الأغلبية سنه(209هـ)، أصبحت إفريقية تحت سيطرة الفاطميين الذين أسسوا فيها دولة شيعية إسماعيلية، ما فتئت أن نشرت نفوذها وسيادتها على كامل بلاد المغرب، وشاركت بصفة فعالية في سياسة العالم الإسلامي، لا سيما بعد تحولها إلى خلافة سنة (316هـ)، وانتقالها على يد "**المعز الدين الله**" إلى مصر سنة (362هـ)، مع دولة الصنهاجيين التي خلفت الفاطميين، فكان النشاط الثقافي ثريا في ميادين مختلفة وخاصة في ميدان الفقه والأدب والتاريخ، حيث تواصلت الدراسة الفقهية وما يتصل بها.[3]

أما في الجانب الأدبي وهو الجانب الثاني الهام في الحياة الثقافية بعد علوم الدين، فقد عرفت القيروان تميزا واضحا نتيجة احتضانها لشخصيات لها قيمة كبيرة في التاريخ الأدبي للبلاد التونسية أمثال:"**أبي إسحاق إبراهيم ابن على بن تميم الحصري**"، و"**ابن**

---

(1)- ينظر،ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص 96.

(2)- ينظر، المصدر نفسه، ص 156.

(3)- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، دط ،الشركة الوطنية **لنشر** و التوزيع، **الجزائر**،1981**م**، ص 72، 77، **عن** فريدة مقلاتي، منهج النقد عند ابن رشيق في كتابه العمدة، رسالة ماجيستر، إشراف الدكتور محمد زرمان، باتنة، 2009م، ص 35.

رشيق"، و"**ابن شرف**"، وهؤلاء كان لهم شأن في مجال الشعر والنقد الأدبي، وتمكنوا من تقديم إنتاج فيه نضج وأصالة، وشكل إضافة نوعية إلى الأدب العربي، بعد الفترة الفاطمية الشيعية القصيرة و برحيل الخليفة "**المعز**" إلى القاهرة، قامت الدولة الصنهاجية، فكان عصـرا ذهبيا جديـدا في حيـاة المدينـة.[1]

ونتيجة لهذا كله نبغ فيها مؤرخون ومحدثون ولغويون وفقهاء لهم في الثقافة مكانتهم المرموقة، وفي هذه البيئة العلمية الأدبيـة، وبين جدران مكاتبها العامـرة، وبين دفات كتبها، وفـي بلاط "**المعز**" وتحت ظـل "**ابـن أبـي الرجال**"، و"**القزاز**"، و"**الحصري**"، نشأ "**ابن شرف القيرواني**" وأخذ منها الجزء الكبير من علمه وثقافته.

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص 35.

أولا: ابن شرف النـــاقد الشـــاعـــر

1- حياتـــه ونسبـــه

هو "**أبـو عبد الله محمـد بـن أبـي سعيـد محمد الجذامـي المعروف بابـن شـرف القيروانـي**"، يكنى أبـا الفضل. ولـد بالقيـروان ونشـأ بهـا، تاريخ ميلاده غيـر معـروف بالضبـط، وربمـا يكون قد ولـد فـي السنيـن الأخيـرة مـن القـرن الرابـع الهجـري .[1]

قـرأ القـرآن وبعـض علوم عصره في مـدارس القيـروان وعلى أيدي أساتذتهـا في العصر الزيري، أخذ الشعر عن أبيـه وهـو صغير، ‹‹ فجاء بشعر ونقد فيه ألق الذهب و بريقه››[2].

وكان من أشهر الأدباء، وكبار الشعراء، وطال عمره فأخذ الناس عنه. ولما كانت القيروان حاضـرة العلم والأدب في عصـره مدح ملكها "**المعز بن باديس**"، وأصبح في ظلاله يقيم مقربا مكرما ، وفي هذا البلاط التقى "**ابن شرف بابن رشيق القيرواني**" فتنافسا وتنافرا، ثم تهاجيا وأقذع كل واحد منها في هجـاء الآخـر. وقد سجل لنا "**ابن رشيق**" في شعره بعضا من هذا التنافر بقوله:

لَا بُـدَّ فِي العُورِ مِنْ تِيْهٍ وَ مِن صَلَفٍ * لِأَنَّهَـمْ يُبْصِرُونَ النّـَاسَ أَنّصَـافَا**
وَ كـــُلُّ أَحْولٍ يَلْقَى ذَا مَكَارِمَـــةٍ * لِأَنّـــَهُمْ يَنْظُرُونَ النّـَاسَ أَضْعَافَا**
وَالعُمْيُ أَوْلَى بِحَالِ العُورِ لَو عَرَفُــوا * عَلَى الْقِيَاسِ ولِكِنْ خَافَ مَنْ خَافَا**[3]

وبفضل غزارة مدحه " **للمعز**"، اصطفاه وقربـه إلى جناحـه، وأمـر " **أبا الحسـن علـي بن أبي الرجال الشيبانـي**"[4] رئيس ديوان الإنشاء والمراسلات في دولته بأن يلحقه بخدمة الديوان.

وهكذا يمضي "**ابن شرف**" في كنف السلطان والفكر والأدب معززا مكرما غالب عمره، وأصبح إلى جانب "**ابن رشيق**" من زعماء البلاط الأدبي" **للمعز بن باديس**" في القيروان، فكان من أبرز أعلام المدرسة الشعرية القيروانية، قال فيـه "**ابن دحيـــة**":« الأديـب

---

[1]- عمر بن حسن ابن دحية أبو الخطاب، **المطرب من** أشعار أهل **المغرب**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دط، القاهرة، مصر، 1954م، ص 66، 67.

[2]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص37.

[3]- المصدر نفسه، ص 37.

[4]- هو رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية، عالم وأديب، نال حظوة كبيرة لدى باديس بن المعز، فوكل إليه تأديب إبنه وتربيته، فقام بذلك خير قيام.

الفاضل، أحد من نظم قلائد الآداب وجمع أشتات الصواب، وتلاعب بالمنثور والموزون، تلاعب الرياح بأطراف الغصون››[1] .

وفي سنة (447هـ) هاجم العرب البدو القيروان، فأنتقل "**المعز بن باديس**" إلى المهدية، وانتقل معه "**ابن شرف**"، ثم توفي "**المعز**"(453 هـ) وخلفه ابنه " **تميم**"، فلزمه "**ابن شرف**" مدة يسيرة فلم يجد عنده من الحظوة ما كان عند أبيه، فغادر إلى جزيرة صقلية، ثم انتقل نحو سنة (454 هـ) إلى الأندلس وسكن المرية، فنازعته نفسه إلى التردد على بلاطات ملوك الطوائف للتكسب بشعره وقد استقر حينا في طيطلية عند "**المأمون بن ذي النون**"، ثم أنتقل إلى إشبيلية واتصل "**بالمعتضد بن عباد**". وكانت وفاة "**أبي عبد الله بن شرف**" في اشبيلية في أول محرم من سنة (534هـ).[2]

2- شخصيته الثقافية و العوامل المؤثرة فيه

إضافة إلى ما ورد ذكره فيما يخص حياته هناك جانب آخر لا يقل أهمية في التعريف به عن الجانب الأول، وهو الجانب الشخصي في حياته. ومن هذا المنطلق، سأتناول أهم ملامح شخصية "**ابن شرف**"، منها ماهو علمي ، وماهو خلقي، يشتمل كل منهما على عدة مزايا وصفات ذاتية، تتضافر مجتمعة لتعطي صورة حية لملاح شخصية هذا الرجل، ويتجلى هذا في مايلي:

- سعة إطلاعه و ثقافته

أبو "**الفضل جعفر بن شرف**" عالم وأديب موهوب، واسع الإطلاع على مصادر التراث العربي وثقافاته المتعددة، ولم يقتصر أمر معرفته على تراث العربي فقط، وإنما تجاوزها للإلمام بما عند الأمم الأخرى، وخاصة في مجال الثقافة الشعرية. ويتميز الرجل بكثرة محفوظه من الأقوال وطرائف الأخبار سواء وهو يتحدث عن الشعر أم غيره، وقد أورد الكثير منها في رسالته[3]، لكن بعد نظر وتقليب وتدقيق وتمحيص- كما ذكرت سابقا – واعيا في تمثله واستشهاده، ذكيا فطنا عميقا في روايته وتأييده لرأي أو تفنيده.

---

[1]- **عمر ابن** دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص98.
[2]- ينظر، المصدر نفسه ص67.
[3]- ينظر، المصدر نفسه ص 90،91.

ومن العلماء الذين قرأ لهم وتأثر بهم – على نحو ما أشرت– : "**الحاتمي**"، "**إبن المعتز**"، "**الجاحظ**"، "**قدامة**"، "**ابن قتيبة**"، "**الرماني**"، "**القاضي الجرجاني**"، "**الآمدي**"، "**الصولي**"، "**الأصمعي**"، "**الأخفش**"، "**أبوعبيدة**"، "**ابن وكيع**"، "**النحاس**"، و"**الزجاج**".[1]

وما صل إلينا من شعر "**ابن شرف**" ينطق ببعض التأثر بأساليب شعراء الجاهلية وصدر الإسلام، مثلما نجد في قوله هذا الذي تأثر فيه بقول "**طرفة بن العبد**" حين قال:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَامُ ماَ كُنْتَ جَاهِلاً * وَ يأْتِيْكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوَّد**[2]

فقال "**ابن شرف**":

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَ الْأَيَامُ عَنْ خَبَرٍ * هُمَا يَبُثَاكَ الْأَخْبارَ تَطْفِيلاَ** [3]

كما نلمح أثر شعر "**الحطيئة**" في شعر "**ابن شرف**" حين قال:

وَ مَنْ يُعَاقَبُ بِمَا تَجْنِبي يَدَاهُ بِلا * ظُلْمُ الْتَجَّنِي فَقَدْ نَالَ اليَدُ الْطُولِي**[4]

أما "**الحطيئة**" فقال:

مَنْ يَفْعَّلِ الْخَيْرِ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيْهِ * لَا يَذْهَبُ الْعُرْفَ بَيْنَ االنّاسُ**[5]

وهناك عامل آخر مهم في سعة إطلاعه و علمه و ثقافته، وهو تأثره بشيوخه وتتلمذه على أيديهم في اللغة والأدب والنقد، كذلك ما أتيح له في بلاط " **المعز**" من أنداد وأقران، هم مشاعل علم الأدب وما أدى إليه ذلك من تنافس و تلاقح فكري. وتذكر كتب النقد أنه كان بينه وبين " **ابن رشيق**" ملاحاة و مهاجاة[6]. كما كان شاعرا ذو حس وذوق فني أصلي، يقول الشعر وينقده، ويحتفي به ويكثر من روايته وحفظه، بل مولعا به حتى

---

(1) - ينظر، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 44.
(2) - طرفة بن العبد ، الديوان، تحقيق، كريم البستاني،ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص 41.
(3) - **محمد بن** شرف القيرواني، الديوان، ص 81.
(4)- المصدر نفسه ، ص 83 .
(5)- الحطيئة أبو مليكة جرول بن أوس، الديوان، شرح، أبو السعد السكري، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1974م ، ص 109.
(6)- **إحسان عباس**، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 460.

أصبح من المتقدمين على سائر من في حضرة "**المعز**" من الأفاضل والأدباء، فكان يقرب "**ابن شرف**" تارة، ويدني "**ابن رشيق**" تارة أخرى.[1]

وكل ذلك زاد في سعة إطلاعه وعلمه وزكى روحه الشاعرة، كما أن ميله للتأليف في نواح مختلفة أثر بارز في صقل موهبة الكتابة لديه، وحافزا على العطاء وكثرة الإنتاج، كما أنه برهان على سعة علمه وتمكنه من ناصية الكتابة والأدب، كيف لا وقد ترك أثار تشهد له – مدى الدهر – بطول الباع في العلم والتأليف.

- الفطنة والذكـــاء وقـوة الذاكـرة والمـــلاحظة

لم تجمع هذه الصفات العقلية كلها في إنسان، إلا للعلماء العباقرة من أمثاله، ولا عجب في ذلك فهو العالم الأديب والناقد الشاعر، ومؤلفاته تشهد له بأنه قد ضرب بسهم وافر في امتلاك هذه الصفات العقلية القيمة، وأكثر ما تبدو في مواقفه النقدية والشعرية، كما تبدو في اختزان ذاكراته للعديد من الأعلام والشخصيات، وفي إحاطته الواسعة.

- شيـــــوخـه

لقد درس "**ابـن شـرف**" وتتلمـذ على يد شيـوخ لهم بـاع في ميـدان العلم والتأليـف، وفي مجـال البلاغـة والنقـد على وجـه الخصـوص، أخذ عنهـم وقرأ لهـم، ولا يلـزم أن يكـون تتلمـذ على يديهم أو أخـذ عنهم عن طريـق مباشـر، وسأعـرض هنـا لشيوخه الذين أخذ عنهم وأفاد منهم بالطريقتين.

1- "أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز التميمي القيرواني"

و هو من كبار علما ء القيروان، وهو من الأوائـل الذين أخذ عنهم "**ابن شرف**"، حيث أدرك من الحيـاة شيخـه سنواته الأخيرة، و"**أبو عبد الله القزاز**" إمام في اللغـة والنحو والبلاغة والنقد، له في هذه العلوم مصنفات قيمة، توفي سنة(412).[2]

---

[1]- ينظر، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص 37.
[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص 105.

2- "الإمام أبو حسن علي بن محمد بن خلف المعافري"

كان عارفا بأصول الفقه والكلام، مصنفا يقضا دينيا تقيا، وكان ضريرا، وهو من أصح العلماء كتبا، قيل عنه:‹‹ كان **أبو الحسن القابسي** زاهد واعضا يقضا، لم أرى بالقيروان إلا معترفا بفضله، تفقه على يده **أبو عمران القابسي**، و**أبو اللبيدي** و**عتيق السوسي** و **ابن رشيق** و**ابن شرف**››[1].

3- "أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، المعروف بالحصري"

ولد بالقيروان وبها نشأ وتلقى العلم على يد أعلامها، ومما قيل فيه : كان شاعرا ناقدا عالما بترتيل الكلام، وقد عاصره "**ابن شرف**" و اجتمع به وأفاد منه قبل وافته. وقد أفاد منه ، ونقل عنه حسب ماذكره "**ابن رشيق**" في كتابه (أنموذج الزمان)، فعنده كان شبان القيروان يجتمعون و يأخذون عنه، وسارت تآليفه وانثالت عليه الصلات من كل الجهات.[2]

وهذا أحد عوامل تكوين شخصيته البلاغية والنقدية ، وهو إن لم يكن بالعامل المباشر- كما أشارت سابقا – إلا أنني بعد النظر والتأمل فيه، وإدراك مدى شدة ارتباطه بشخصية أي بلاغي وناقد، وبعد التأمل في شخصيته من خلال ما كتبه في الجانب النقدي، فربما كان هذا الجانب ذا الأثر الكبير في شخصية الرجل البلاغية و النقدية .

4- شاعريته

من العوامل التي ساعدته وكان لها أثر كبير في تكوين شخصيته البلاغية والنقدية، كونه شاعرا، مهتما بالشعر، فقراءة الشعر وحفظه وروايته تقف في مقدمة الوسائل التي عدها علماء النقد من لوازم ثقافة الناقد الأدبي، و"**ابن شرف**" قرأ الشعر وحفظه ورواه مع كل ما يتصل به من أقوال وأخبار ونوادر، مكثرا من ذلك كله، بل إنه محب للشعر مولع به.

لذلك عده الأدباء والنقاد من فحول الشعراء في المغرب، فقد شهد له ذلك خصمه "**ابن رشيق القيرواني**" بقدرته على إبداع الشعر، وقوة البديهة والارتجال، إذا قال فيه:‹‹ لقد شهدته مرات يكتب القصيدة في غير مسودة، كأنما يحفظها، ثم يقوم فينشدها،

---

[1]- المصدر السابق، ص 97.
[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص 122.

وأما المقطعات فما أحصي ما يضع منها كل يوم بحضرتي صاحيا أو سكرانا، ثم ، ثم يأتي بها بعد ذلك، وأكثرها مخترع بديع ››[1] .

"**فابن شرف**" يكتب القصيدة بحضور غيره من الشعراء ولا يقرؤها من كتاب، بل يكتبها عند إنشادها، من غير أن تكفه مراقبة الآخرين عن السير في إبداعها، مما جعل "**ابن رشيق**" يشبهه بمن يحفظ نصا شعريا، ثم يمليه على الحاضرين، عن طريق بديهة من غير تفكير. ولم يكن هذا في القصائد وحدها بل تعدى ذلك إلى المقطعات التي يهون أمرها على الشعراء قياسا بالقصائد، ذلك أنه يبدعها ويكثر منها، فكأنه شاعر متفرغ للشعر. فشهد له بالإنفراد والتجديد في إبداعه مما جعل شعره تعبيرا حقيقيا عن نفسه وشخصيته، ويلغي فكرة المحاكاة في صميم العلمية الإبداعية التي تأتيه عفوا خاطر، وتأتيه بالبديع الجديد، ولا يعني ذلك أنه لم يحتذ حذو بعض الشعراء "**كأبي نواس بن الوليد**" و "**أبي الطيب المتنبي**".

ثانيا : آثـــــــاره الأدبيـــة

1- آثـــاره النثـــريـــة

تـرك "**ابـــن شـــرف**" أعمـــالا أدبيـــة كثيـــرة لـــم يصـــلنا منهـــا إلا النـــزر القليـــل، فكـــان نثـــره فيـــه كثيـــر مـــن التـــألق و التكلـــف، وتقليـــدا للمقامـــات، وإن كـــان يعـــالج موضـــوعات بعيـــدة عـــن طبيعـــة المقامـــة كمـــا عرفهـــا المشـــرق، فقـــد ثبـــت لـــه عـــدد مـــن الكتـــب والرسائـــل لـــم يصلنـــا منهـــا إلا مـــا هـــو محفـــوظ فـــي كتـــب الأدب والتراجم، و منهـــا:

- **بهجة المجالس وألسن المجالس:** هو نموذج من الحكم والأمثال التي ظهرت في القرن الخامس الهجري، استلهمها من تجاربه وخبراته في الأندلس، وأعاد صياغتها بقوالب فنية مفعمة بالحس الشعري، متناولا فيها صورا من المجتمع، فوصفه "**ابن دحية**": « اختراع كله تصانيف في الحكم والأمثلة و النظم و النثر »[2].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 47.

[2]- عمر ابن دحية الخطاب، **المطرب** من أشعار أهل المغرب، ص 189.

- **سر البر:** لم يصل منه إلا ما أثبته "**ابن عاصم**" في كتابة " جنة الرضا"، و هو كله تصانيف في الحكم والمواعظ، تدل عن معرفة ودراية وقدرة على استلهام التجارب والخبرات، ثم محاولة التعبير عنه بما يصلح أن يمثل به، كل ذلك بأسلوب رصين جعل معاصريه ومن جاء من بعده من العلماء يشهد براعته وغزارة علمه.[1]

- **أعلام الكلام:** نشرت باسم "رسائل الانتقاد" أو"مسائل الانتقاد"، كذلك فإن صاحب الذخيرة لم يورد اسم" رسائل الانتقاد"، وإنما قال:« و**لابن شرف** مقامات عارض فيها البديع في بابه، وصب فيها على قالبه»[2]، ويسميها **ياقوت الحموي** برسالة "الانتقاد"، وهي على طراز مقامة نقد فيها شعر طائفة من الشعراء الجاهلية والإسلامية.[3]

ويذكر "**إحسان عباس**" أن هذا المؤلف هو أول قالب نقدي في صورة مقامة طويلة، بطلها اسمه "**أبو الريان**"، وقد كانت هذه النقلة إلى هذا القالب غير موفقة، لأن المقامة في أساس مبناها تعتمد السجع، ولأنها – مهما تطول – سيقتصر النقد فيها على اللمح السريع، وخصوصا فمقامة "**ابن شرف**" قد تعرضت بالنقد لما لا يقل عن أربعة وأربعين شاعرا (عدا شعر الغزل العذري) الذين تحدث عنهم مجتمعين، و ربما حديثه عن بعض الشعراء لا يزيد عن بعض الكلمات، وقد تكون هذه الكلمات لا جدوى لها في باب النقد.[4]

غير أن "**ابن شرف**" لم يلتزم أسلوب المقامة في جميع رسالة، بل وسع من أعطاف القول، فجاءت رسالته في قسمين واضحين:

أولها المقامة نفسها تحدث فيها عن الشعراء بإبراز أهم ما يتميز به كل شاعر في الشعر عن غيره، وقد أطال الوقوف عند "**أبي نواس**"، وتعليل ذلك عنده أن "**أبا نواس**" نزل بالشعر إلى مستوى الإفهام في عصره، فرغب الناس في شعره على الرغم أنه قادر على الشعر القوي، وقد فطن "**أبو نواس**" نفسه إلى ذلك فحاول أن يستدرك ما فاته بالطرديات، ولا أحد ينكر أن في شعر"**أبي نواس**" شيئا كثيرا من السخف والمجون،

---

(1)- ينظر، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص 37.
(2)- إحسان عباس، تاريخ **الأدب العربي**، ص 460.
(3)- ينظر، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 43،40.
(4)- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 462.

واعتماد السهل الذي يبلغ في سهولته حد الركاكة أحيانا، ولكن شتان بين ما يقوله "**ابن شرف**" و بين قول "**القاضي الجرجاني**" بأن في شعره تفاوتا، ويراه مسؤولا عن النزول بالشعر إلى مستوى العامة.[1]

كما تميز هذا القسم بظهور شعراء المغرب فيه إلى جانب المشارقة حيث تحدث عن "**ابن عبد ربه**" و"**ابن هانئ**"، و"**ابن دراج القسطلي**"، و"**علي التونسي**". كما تميز بالوقوف عند "**الصنوبري**" و"**الخبزرزي**" في سياق يضم "**أبا تمام**"، و"**البحتري**"، و"**ابن الرومي**"، و"**المتنبي**"، ولمح إلى التهمة التي رددها "**ابن وكيع**" حين زعم أن "**المتنبي**" سرق معاني **الخبزرزي** في قوله:« حتى أن بعض كبراء الشعراء اهتدم شيئا من مبانيه، و اهتضم طرفا من معانيه، وهو من معاصريه، فقل من فطن لمراميه» [2].

أما القسم الثاني تناول فيه بيان سقطات عدد من الشعراء وبعض العيوب في الشعر، بدءا بمقدمة تحتوي على توجيهات عامة في النقد، يشفعها بيان نوع من العيوب تقع في الشعر منها:

1- الناقد بحاجة إلى التأني الشديد قبل إصدار حكم، أي أن هذا تحذير له من الاستسلام للتأثير الأول المباشر.

2- كذلك على الناقد أن يحترز من الإعجاب بالقديم دون تمييز للجيد فيه من الردىء، و أن ينأى عن إصغار المعاصر.

3- الكشف عن سقطات شاعر يعد رأس القدماء، يقدمه الناقد لقدمه، فكانت المنافسة بين "**ابن شرف**" و"**ابن رشيق**" تعود في هذا الموقف، "**فابن رشيق**" اتخذ من "**امرئ القيس**" في " قراضة الذهب" مثلا أعلى للشاعر المبتكر المبتدع، في حين اعتمده "**ابن شرف**" من ناحية عيوبه على الجانب الأخلاقي، و هو نفسه موقف "**الباقلاني**".[3]

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق**، ص 462.

[2]- محمد بن شرف القيرواني، **مسائل الانتقاد**، تحقيق، نبوي عبد الواحدشعلان، دط، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية ، مصر، 1982م، ص 36.

[3]- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 462.

2 – آثـــــــــاره الشعـــريـــــة:

- تـــــوطئـــة

ذكر "**ابن دحية**" أن "**لابن شرف**" ديوان شعر موجود في خمس مجلدات، لكن لم يصلنا منه إلا النزر القليل، وهو الذي احتفظت به مجموعة من كتب الأدب والتراجم، تبلغ أكثر من ستمائة بيت، وأول من تولي جمع طائفة منه المرحوم "**عبد العزيز الميمني**" في مؤلفه " النتف من شعر **ابن رشيق** و زميله "**ابن شرف**"، ثم جمعة "**حسن ذكرى حسن**" تحت عنوان "ديوان **ابن شرف**" ونشر بالقاهرة بمكتبة الكليات الأزهرية منه سنة1983م.[1]

كما ذكر "**ابن رشيق**" أن "**ابن شرف**" الناقد الشاعر كان من أصحاب إبداع المعاني، واختراع الأساليب، وثقوب الذهن وجودة القريحة، وليس من الحائمين حول جزالة التراكيب وفخامة المباني، وفصاحة الألفاظ فحسب[2]، فليس من الممكن أن نرى في شعره قعقعة، أو معنى مبتذل، فقد كان مولعا بإبداع وابتكار المعاني الدقيقة، والأفكار اللطيفة والأساليب المتينة، والمباني الرصينة. فما عثر من شعره إنما هو عن بديهة وعفو خاطر.[3]

ولما كان الشعر ذلك الفن الذي يصدر عن الوجدان، فقد كان ترجمة عن كل ما يختلج في ذات الشاعر، ذلك الفرد الذي يعبر بلسان الجماعة عن مختلف عواطفها وإحساساتها، ومواقفها الخاصة والعامة تجاه العالم الخارجي، كالفرح والطرب والحزن والغضب، وكلها أحاسيس إنسانية رسمت طريق الشعر من خلال تلك الحلل التي يرتديها في كل مرة ممثلة في أغراضه.

وقد تنبه النقاد والشعراء وحتى المتلقون من عامة الناس على نزول الشعر عند المقامات والمواقف التي ينظم فيها، فتكون الأغراض مناسبة لمقام الشاعر الذي هو فيه، إن فرح أو حزن أو طرب أو غضب، فيكون من ذلك الفخر والمدح، والاعتذار والنسيب والغزل والحماسة، والهجاء وبقية الأغراض الأخرى.

وقد استمد "**ابن شرف**" أغراض شعره من البيئة التي عاش فيها، فجاء شعره معبرا عن الطبيعة التي وجد فيها، والحياة الاجتماعية التي احتضنته والظروف السياسية

---

[1]- ينظر، عمر ابن دحية الخطاب، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 322.
[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص 122.
[3]- ينظر، المصدر نفسه، ص 126.

والثقافية التي وسمته، فكانت جميع هذه الظروف بمثابة المحرك الأساسي لعواطفه لينظم وفقها أغراضه الشعرية التي اجتمعت في أربعة أصناف، منها المدح والهجاء، والحكمة، واللهو. ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون، فيكون من المدح، المراثي والافتخار، والشكر، ويكون من الهجاء الذم والعتاب، ويكون من الحكمة، الأمثال والزهيد والوعظ، ويكون من اللهو الغزل، والطرب وصفة الخمور[1]، هذا التنصيف الفني هو في أساسه يقوم على ثنائيتين هما: (المدح والهجاء) من جهة، و(الحكمة واللهو) من جهة أخرى، فالشعراء إذن: مابين مادح أوهاج، أو حكيم أولاه، و"**ابن شرف**" لا يخرج في تصنيفه عن باقي النقاد الشعراء في المغرب.

و يمكن ذكر أهم الأغراض التي تتفرع عن هذه الأصناف الفنية الأصلية، فنجد:

1- **المديح:** ومنه: الرثاء والفخر والشكر، وهي أغراض تشترك مع غرض المديح في أن الشاعر يقصد فيها شخصا بعينه فيذكر محاسنه، ويعدد مآثره، حيث يكون الممدوح في المدح من الأحياء، ويكون الممدوح في الرثاء من الأموات، وفيه يعدد الشاعر محاسن ومآثر الميت التي كانت له في حياته، ويكون الممدوح في الفخر هو الشاعر ذاته أو أهله وعشيرته، ويكون المخاطب في موضوع الشكر صاحب فضل على الشاعر الذي لم يستطع أداء حقه إلا بأبيات من الشعر يعبر له فيها عن اعترافه بجميله وإحسانه.

2- **الهجاء:** ومنه الذم والعتاب، فهذه الأغراض تصدر عن عاطفة واحدة هي: الغضب وعدم الارتياح.

3- **اللهو:** ومنه الغزل والخمريات، وغيرها من الأغراض التي يستمتع فيها الشاعر و يلهي نفسه والمتلقين لذكر المغامرات واللذات، سواء أكان ذلك مع المرأة أو مع الخمر، أو في مغامرات أخرى.

وقد اهتم النقاد العرب بهذه الأغراض، فهذا "**أبو تمام**" (ت231هـ) الذي يعد أقدم هؤلاء النقاد المصنفين للشعر حيث رتب مختاراته المشهورة بالحماسة في عشرة أبواب منها: الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء والمدح، والملح، ومذمة النساء.[2]

---

[1]- **علي الحسن** ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر** وآدابه ونقده، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، ط1، **المكتبة** العصرية صيدا، بيروت، 2001م، ص 106.

[2]- ينظر، محمد محمد حسين، الهجاء و الهجاءون **في الجاهلية**، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1970م، ص 05.

كما ذكر الناقد "**إسحاق بن وهب**":‹‹ أن للشعراء فنون كثرة، تجمعها في الأصل أصناف أربعة هي: المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع عن كل ذلك فنون، فيكون من المدح: المراثي والافتخار، والشكر واللطف في المسالة، وغير ذلك، ويكون من الهجاء: الذم والعتاب والتأنيب، وما أشبه ذلك وجانسه، ويكون من نوعه، ويكون من اللهو: الغزل والطرد وصفة الخمر والمجون وما أشبه ذلك وقاربه ››[1].

وعلى ما يبدو أن هذا النص في نقد الشعر وهو من النصوص المشهورة، وأغلب الظن أن "**ابن شرف**" تأثر به سواء كان ذلك نتيجة تأثره بكتاب الناقد الشاعر"**إسحاق بن وهب**" ‹‹ البرهان في وجوه البيان ››، أم كان تأثره في ذلك "**بقدامة بن جعفر**".[2]

ثالثا- نماذج من شعره

"**ابن شرف**" الناقد الشاعر من الشعراء الذين تعددت أغراضهم وامتلكوا خاصية الشعر، يوجهها إلى حيث شاء حتى قيل أنه كان يكتب القصيدة في غير مسودة، ثم يقوم فيرتجلها كأنما يحفظها[3]. وهذا الاقتدار والتمكن هو الذي جعل الشاعر ينتقل من غرض شعري إلى آخر دون عناء، وهذه الميزة جعلت أصحابها ينالوا مكانه رفيعة بين أقرانهم، بينما نجد بعض الشعراء يجيد في غرض شعري واحد ولا يستطيع أن يقول في غيره، ولذلك يقول "**ابن قتيبة**":« والشعراء أيضا في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المدح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل»[4].

ولعل شعر"**ابن شرف**" حسب موضوعاته وأغراضه يمكن تقسيمه على مرحلتين[5]:

أ- المرحلة الأولى

هي المرحلة التي نظم فيها الشاعر شعره قبل خراب القيروان، وتضم شعر المديح، وشعر الغزل، و شعر الخمريات والهجاء والوصف، فكان يمدح من يجزله العطاء، ويهجو من لا يراه أهلا لمنصبه، ويتغزل بالحسان اللواتي يعج بهن بلاط المعز، كما كان دائما

---

(1)- **المرجع السابق، ص 14.**
(2)- ينظر، المرجع نفسه، ص 145.
(3)- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 456، نقلا عن بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 75.
(4)- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده، ص 110.
(5)- ينظر، نورة بوغقال، القيم الجمالية و الخصائص الفنية في شعر ابن شرف القيرواني، إشراف الأستاذ محمد منصوري، باتنة،2005م، ص 35.

يلطف الجو بين المعز وندمائه بألغازه التي تأتي في قالب شعري طريف، وفي هذا الصدد يقول "**إحسان عباس**":« إنما يذكر التاريخ النقاد والشعراء الممتازين الذين صبروا وصابرو وجاهدوا في التغلغل إلى أعماق النفس البشرية، واستخرجوا ما فيها من أحاسيس ومشاعر كل حسب ذوقه»[1] . ومن هنا لا بدلي من تناول بعض أغراض شعر "**ابن شرف**" للوقوف من كثب على أسباب فحولته، والتأكد من تنوع أغراضه ومدى صحة تقديم النقاد القدماء له على غيره من النقاد الشعراء .

- المديح

اعتبرت العرب كلمة الثناء الواردة في غرض المدح تاج عز يلبسه الممدوح، فينال به المكانة الفضلى بين أقرانه، لذلك قالوا عن الشعر:« إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل، مثلما يضع من قدر الشريف الكامل »[2] .

وهذه المكانة المميزة لغرض المديح عن باقي أغراض الشعر هي التي أوصلت من أجادها إلى سلم الفحولة والتقدم عن الأقران، لذلك أجمع العلماء على أن الشعر وضع على أربعة أركان: مدح رافع، أو هجاء واضع، أو تشبيه مصيب، أو فخر سامق[3] ، ومن المعروف أن التكسب بالشعر في مدح السادة الأمراء والأشراف يفرض على الشاعر قدرا كبيرا من الجهد حتى لا يقع في تقصير يحرمه الجائزة، أو يعرضه لشيء من الانتقاص، وبهذا الجهد والاهتمام والمعاودة يستطيع الشاعر أن يصل إلى قدر كبير من السيطرة على الشعر، والتنقل في مختلف أغراضه، ومن ثم الفحولة التي من شروطها التنقل في جميع الأغراض.

ومن المعروف أيضا أن الشاعر عندما يمدح الممدوح، يرسم له صور الإعجاب به

بأعلى درجات الكمال، لأن المادح والمستمعين يكونون مدفوعين بعاطفة الإعجاب ومتوسمين عمل الممدوح بالفضائل الجليلة، والأعمال الخالدة، والسجايا الحميدة، والآثار

---

(1)- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 88.

(2)- ابن رشيق، **العمدة**، ص 110.

(3)- ينظر، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، تحقيق، **أبو عبد الله بن مسلم**، د ط، دار الثقافة، بيروت، **لبنان**، دت، ص 312.

العريقة التي أشاد بها الشاعر، ليعمل الممدوح جاهدا لتحقيقها والارتقاء إليها بأبهى صورة.[1]

لذلك ليس غريبا أن يتخذ غرض المدح المكانة المميزة بين الأغراض الشعرية، فقد ارتبط بعادة التكسب لدى الشعراء، لما فيه من وصف محاسن الممدوح وتعداد مآثره. فكان بعض الشعراء لا يقصد بشعره أحدا تعففا وحفظا لماء وجهه من مذلة السؤال بالشعر، في مقابل شعراء المدح الآخرين الذين رأى "**ابن رشيق**":

1- أنهم يحملون إلى كل سوق ما ينفق فيها، فالشاعر المتكسب يواجه الملوك والأمراء من الممدوحين مخاطبا لهم بما يليق بمقامهم، سواء كان ذلك على مستوى المعاني والتشبيهات المتميزة، أم على مستوى القوالب اللفظية والعبارات التي تتناسب مع مقامهم، و إن كان هذا الشاعر مخاطبا لممدوح آخر هو مثلا دون منزلة الملوك والأمراء، فمن المؤكد أن الشعر الذي يقدمه لهذا الممدوح ستختلف عما كان يقدمه للملوك و الأمراء في ألفاظه و معانيه و حتى في موقف إنشاده.

2- الشاعر يخاطب كل إنسان من حيث هو، فهو يتلون حسب مقام أو مكانة الممدوح ، فإن كان هذا الممدوح ملكا متجبرا، ذكر هيبته وسلطانه وفخامة ملكه وخضوع الرعية لسطوته، ولئن كان ملكا عادلا، ذكر عدله و سماحته، وكذلك الحال لو كان الممدوح فارسا ذكر الشاعر قوته وجولاته وأهم معاركه وبطولاته، فهو يتحسس مواطن الضعف في نفسه حتى يستفزه إلى إكرامه بجزيل العطاء، ولذلك فهو:

3- يأتي إليه من جهة فهمه فيكلمه بما يحب و بما تقر عينه ولو كان ذلك بأوصاف مبالغة وبعيدة عن الحقيقة.[2]

و"**ابن شرف**" الناقد الشاعر لا يخرج في مدحه عن هذا الإطار، فكانت أكثر القيم التي وصف بها ممدوحه الكرم والشجاعة، حيث وصف ممدوحه بألفاظ جزلة تتسم بالقوة والفخامة في التعبير عن الغرض الذي يقتضي المتانة والرصانة، لأن الشاعر بصدد غرض يتطلب الألفاظ الجزلة بهدف تفخيم صفات الممدوح التي ترفع من شأنه، ومن مقامه، فيقول في مدح "**المعز بن باديس**":

---

[1]- ينظر، علي ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص 143.
[2]- ينظر، المصدر السابق، ص 287،289 .

لَمَا انْقَضَّتْ مِنْ المئينَ أَرْبعٍ *** وَبَعْدُهَا ستُ سنِيْنَ تُتَبَّعِ
وَأَوَلِ الْعَامِ الشَّرِيْفِ السَّابِعِ *** دَارُ إِلَيْهِ أَيمنُ طَوَالِعِ
بِاسْمِ الْمُعزِ الْمَلِكُ الْمَيْمُونِ *** مُذِّلُ كَفْرُ و مُعزُ الدِّينِ
فَقَلَّدِ الأَمْرَ الشَّدِيْدَ المنْحَةِ *** مُنْتَهِضًا بِحَمْلِه ابْنَ سَبْعَةِ[1]

ومن الصفات التي أشاد بها أيضا الشاعر لوصف ممدوحه صفة الكرم، في قوله :

لِمُخْتَلَفِ الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ *** فَهذَا لَهُ فَنٌ و هَذَا لَهُ فَنُ
فَلِلْخَامِلِ الْعُلْيَا و لِلْمُعْدَمِ الْغَنِيُ *** ولِلْمُذْنِبِ الْعَتبِي و لِلْخَائِفِ الْأَمْنُ[2]

فالشاعر في هذه الأبيات وصف ممدوحه بكثرة الإنفاق، وشدة كرمه وصل إلى درجة الكمال، فلا يوجد من هو أكرم ولا مغني منه عن باقي الأمراء والملوك، فيعبر عن ذلك قائلا:

أَغْنَيْتَنِي عَنْ جَمِيْعِ النَاسِ كُلَّهُمْ *** و لَمْ أَجِدْ مُغْنِيًا عَنْ سَائِرِ الْبَشَرِ
كَالْحَمْدِ تُجْزِي الْمُصَلِي حِيْنَ يَقْرَأُهَا *** و لَيْسَ يُغْنِيْه عَنْهَا سَائِرُ السُورِ[3]

فابن شرف حين وصف ممدوحه بهذا الكمال والسخاء أراد وصف كثرة عطائه وكرمه، ومن الصفات أيضا التي أثنى بها الشاعر على ممدوحه قدرته على ضمان الرفعة والأمن لكل من يقترب منه، والشاعر واحد منهم، في قوله:

دَعَوتَ الْمُعْتَفِيْنَ لَحَيزِ مأْوَى *** و أَحْلَلْتَ الْطَّرِيدَ أَعَزّ ساحٍ
فَمَا للفضلِ فيهَا من زوالٍ *** و مَا للمجدِ عَنهَا مِن بَارحٍ[4]

فالشاعر في هذه الأبيات يصف كرم ممدوحه لطالبي المعروف وإيوائهم خير مأوى، وحمايتهم ودفع الأذى عنهم، ففي عهده أمنوا بعد فزع، وكرموا بعد إذلال، واستقروا بعد تشرد.

---

(1)- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 99.
(2)- المصدر نفسه، ص 57.
(3)- المصدر نفسه، ص72.
(4)- المصدر السابق، ص82.

- الغـــــــزل

كـان كـل شـيء فـي بيئـة الأندلـس يغـري بالحـب ويـدعو إلـى الغـزل، ومـن ثـم لـم يكـن أمـام القلـوب الشـاعرة إلا أن تنقـاد لعواطفهـا، فأحبـت وتغزلـت، ثـم خلقـت وراءهـا فيضـا مـن شـعر الغـزل. وأوضـح سـمات هـذا الغـزل تتجلـى فـي رقتـه الناشئـة مـن التفـنن فـي وصـف محاسـن مـن يقـع الشعـراء فـي حـبهن مـن نسـاء الأنـدلس الجمـيلات، وفـي تصويـر مشـاعرهن المتضـاربة اتجـاههم، مـن وصـل وهجـر، وقـرب وبعـد، وإقبـال وإعـراض، ومـا شابه ذلك من التجارب التي يدور حولها موضوع الغزل.

وكـان المتوقـع أن ينفعـل الشـاعر المغربـي بمؤثـرات الحيـاة الجديـدة، فيغيـر مـن نظرتـه إلـى المـرأة، ومـن مفهومـه لقـيم الجمـال فيهـا، ولكـن شـيئا مـن ذلـك لـم يحـدث، وظـل الغـزل المغربـي غـزلا حسـيا بعيـدا عـن تصـوير خلجات النفوس، وما يضطرب من شتى المشاعر.

فـإلى جانـب تصويـر المواقـف التـي تنشـأ عـادة بـين المحبـين مـن قسـوة ولـين، وصـل وهجـران، وشـكوى وعتـاب، ودمـوع وبكـاء، ومـا شـابه ذلـك وقـف الغـزل عنـد حـدود الوصـف المـادي لمـا يعشـقه الشـاعر مـن أعضـاء جسـم حبيبتـه، فالوجـه قمـر، والشـعر ليـل أو ذهـب، والمحـاجر نـرجس، والأنامل سوسن، والخدود تفاح.[1]

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ذوق الشاعر فيما يستهويه من مفاتن حبيبته الظاهرة، وكل ما هناك من فرق بين الشعراء في ذلك، إنما هو في طرق التناول والتعبير ليس غير.

وقد كان الغزل عند شاعرنا غزلا حسيا، والشاعر في هذا اللون من الغزل يحدثنا عـن عيـون حبيبتة، وشعرها، وخدودها، وجيدها، وصدرها، وعجـزها، وقامتها، ومشيتها، وابتسامتها، وحديثها وعطرها .... الخ، وقد يستعيـر مفاتنها من الطبيعة ومن المجوهـرات واليواقيت ومن الغزلان والأرام، ، فالحبيبة مصاغة من ماء لؤلؤة تعلو على البشر جميعا ذات غرة عاجية وطلعة تشبه الصباح إشراقا وبهجة، يقول:

---

[1]- ينظر، مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم،ط 2، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص 57.

كَالْبَدْرِ مُكْتَمِلا كَالظَّبْيِ مُلْتَفِتًا * كَالرَّوضِ مُبْتَسِمًا كَالغُصْنِ مُنْعَطِفَا**[1]

إلى ما هناك من مواطن والجمال التي أثارت انتباه الشاعر وشدت أعصابه وملكت دهشته، واستحوذت على فؤاده. و مما يبدو أيضا أن"**ابن شرف**" الناقد الشاعر كان متقيدا في غزله بنموذج معين للمرأة، وبصورة قائمة في مخيلته ورثها عن أجيال عريقة في القيدم، فهو لا يتجاوزها ولا يتعدى تلك الخطوط العريضة لهذه المحبوبة المثالية ذات العيون النرجسية، والخدود الوردية، والشفاه العسلية، والأسنان الأقحوانية، والشعر الليلي، والصدر الناهد، والقد النحيل، والردف الثقيل، والقامة الرشيقة، وما أشبه من أوصاف درج عليها الشعراء و تناقلوها جيلا بعد جيل[2]، وكل ما يقع بينهم من اختلاف يكون في الألفاظ وترتيب العبارات والجمل، أو بإدخال بعض المشاعر والعواطف الإنسانية والذاتية على تلك الأوصاف الجسدية للحبيبة، وفي هذا المعني يقول :

جِسْمُ بَرَاهُ الْإِلَهُ حِيْنَ صَوَرَهُ * مِنْ مَاءِ لُؤْلُؤَةٍ و النَّاسُ مِنْ طِيْنِ**

وحَاشَى لِلَّهِ أَنْ يُعْزَى إِلَى بَشَرٍ * أَو أَنْ يُضَافَ لِحُسْنِ الْخُرّدِ الْعِيْنِ**

و آهٍ لِقَلْبِي وقَدْ أَودَّتْ بِهِ حرّقُ * مِنْ شَادِنٍ غَنَجَ بِالوَصْلِ ضَنِينِ**[3]

يرسم **ابن شرف** في هذه الأبيات صورة حسية مجسمة لحبيبته بثغرها و خدها و قدها، و يجعلها نادرة ليست من صنف البشر، ثم يلتفت بعد ذلك إلى تصوير مشاعره ووجده وهيامه، لكنه في كل غزلياته لا يخرج عن الاتجاه الحسي.

وقد ظلت بعض الصور المشرقية التي احتذاها المغاربة في غزلهم صورة الصباح المفرق بين الأحباب،« إنه نذير الفراق والانفصال وانتهاء لحظات الوصل التي طالما اختلست تحت جنح الظلام » [4]، و في هذا المعنى يقول:

أَرْشُفُ خَمْرَ الرِيقَ أَو * أَقْطِفُ وَرْدَ الْخَجَلِ**

وَقَدْ تَعَانَقْنَا اعْتِنَاقَ * الْقَضْبَ فَوقَ الْجَدْولِ**

بِتْنَا إِلَى أَنْ حَثَّنَا * إِلَى النُونِ بَرْدَ الْحُلَى**

---

[1]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 50.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 70.
[3]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 123.
[4]- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس، ص 76.

فَلَمْ يَهِجْ بَلَابِلِي * غِنَاءَ الْبُلْبُلِ**[1]

وقد ينصرف إلى ذكر اللقاء واختلاس الزيارة واجتياز العوائق الاجتماعية والحواجز المانعة لتحقيق نبرة همس ولحظة رؤية[2]، أو ذكر الأماكن الدارسة التي شهدت عشقهما في قوله:

قِفَا فَتنسْمَا عِطْرَ النسِيمِ * بِرسمِ الدارِ مِنْ بَعدِ الرسِيمِ**
أَنِيخَا لِنَاعجِينَ ولا تَرُومَا * فَمَا السُلْوَانَ بِالأمْرِ العَظِيمِ**[3]

كذلك قوله:

رَسْمَ الشَجَى البُكَاءَ فِي الرسْمِ و الطَلَلِ* وَالدمْعَ حِيلَةُ أَهْلِ الفَقْدِ لِلْحِيَلِ**
أَفنِي دُمُوعِي و جِسْمِي طُولَ هِجْرَتِكُمْ * حَتى جَرَتْ دَمْعَتِي طِلا عَلَى الطَلَلِ** [4]

وصف الشاعر في هذه الأبيات حالته الكئيبة لهجران الحبيبة له، التي جعلته يبكي بحرقة لفقدانها، فمكان الدمع إلا تعبيرا عن ذلك البلاء العظيم.

_ الوصف

يعد الوصف الشعري أدق أنواع فنون الشعر، وأصعبها ومنالا واعزها، إذ « لا يحسن حتى يدق التشبيه ويسبح الخيال ويندر المجاز، ويكون ذلك رميا من الخاطر وإلهاما من العقل، وليس هذا المستطاع لكثير من الشعراء، بل لكثير المقدمين منه[5] ، فكان الشاعر المغربي يجرب قريحته ويصقل موهبته بممارسة هذا الفن ومعاناة النظم فيه، وهو مدرك أنه ليس من السهل التوفيق فيه، والإتيان بما هو جديد مبتكر، فليس هذا الإقبال الملحوظ من لدن المغاربة عليه إلا دليل على غرامهم بالطبيعة وتعشقهم جمالها ومواطنها.

وما هو ملاحظ على الوصف في هذه الفترة عند الشعراء المغاربة، هو انصراف الوصاف عن الاهتمام بجزئية صغيرة من جزئيات المنظر الطبيعي إلى توسيع رقعته حتى تشمل المنظر كله، فلم يتوقف عند زهرة أو وردة، بل أخذ يصف انبهاره بالحدائق بما

---

(1)- محمد ابن شرف القيرواني، الديوان، ص 100،101.
(2)- ينظر، محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس، ط 3، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ص 70.
(3)- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 94.
(4)- المصدر نفسه، ص 94.
(5)- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس، ص 125.

فيها من زهور و أشجار وجداول و ما يتخللها من نسيم أو أريج، و ما يعلوها من نجم أو قمر أو غيم، وما يصاحبها من خمر أوصيد...[1]

وشيء آخر يتضح في طبيعة هذه الفترة هو تعميق الامتزاج بالطبيعة وتشخيصها حتى تتحول في نظر الشاعر إلى صدر أم حنون، أو حضن حبيبة دافئ يشع محبة، أو قلب صديق مخلص، فلم تعد في نظره مجرد ألوان ونبات وظواهر، بل أخذت بعدا آخر فيه إنسانية، مصورة مزاجه وذوقه، يلوذ بها أوقات فرحه وترحه، ابتسامته وبكائه[2]، وقد تجلى الامتزاج والتشخيص في كثير من شعر الوصف، فنجده يصف واد بالأندلس، بقوله:

رِيـاَضٌ غَلاَئِلُهـاَ سُنْدُسُ * تـوَشّـَتْ مَعـاَطِفُهَا بِالـزَّهرِ**
مَدَامِعُهَـا فَـوقَ خَـطّ الـرِّي* لَهَـا نَظْـرَةٌ فَتِـنَتْ مِنَ النَظَرِ**
حُـلٌّ مَـكـَانَ بِـهَـا جَـنـَّةٌ * وَكـُلُّ طَـرِيـْقٍ إِلَيـْهَـا سَفـَرِ[3]**

باتت الأندلس في هذه الأبيات ملهمة الشاعر، فكل طريق إليها مضيء و كل مكان بها يشبه الجنة، و لم يخالف الشاعر من سبقوه في هذا الوصف.

و نادرا ما استقر النهر بقطعة شعرية أو حظي باهتمام خاص لدى شعراء هذه الفترة، و لكنه في الغالب كان يأتي ضمن وصف المنظر الطبيعي المتكون في العادة من الرياض و الخضرة ونسائم الأنهار المناسبة وسط تلك الحقول و البساتين، فالنهر يكون جزء أو عنصر من عدة عناصر تتعاون جميعا و تتكاثف لتأليف الصورة الأم التي أثنى بها الشاعر و بذل شاعريته و مواهبه في معالجتها و إخراجها[4]، و من ذلك قول الشاعر:

أُنْظُرْ إِلَى الْنَهْرِ الْـذِي * لَا يَنْقَضِـي خَـفَـقَـانَهُ**
أَمْوَاجُـهُ فِـي دَارِجَـةَ * مَـاجَـتْ بِـهَا أَشْجَـانُهُ**
حَرِصَـتْ بِـهِ فِـي مَلْعَبٍ * مُتَـرَادِفُ فُـرْسَـانَهُ**

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق**، ص 126.
[2]- محمد ابن شرف القيرواني، الديوان، ص 55.
[3]- **المصدر** نفسه، ص 126،127.
[4]- ينظر، محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد الرابطين والموحدين بالأندلس، ص 140.

أَمْسَى جُمُوحًا إِذَا غَدَا * بَيْنَ النَّسِيمُ فُرْسَانُهُ** [1]

وقد أفتتن شعراء المغرب في وصف النار والحديث عن روعتها وسحر منظرها وهي تغازل الريح فتتعالى نحو السماء كطفلة غريرة، ووصف المصطلين حولها في نشوة السمر ولذة الدفء في غمرة الشتاء البارد، و من هنا كان حديث النار غزل المحبين، و أوصافها أنوثة العذارى وحنو الأم على الوليد، فهي في جانبها الجمالي اندهاش وفتنة وروعة ملكت إحساس الشعراء فقالوا فيها كثيرا عبر العصور الأدبية[2]، لذلك ليس غريبا أن نجد "**ابن شرف**" الناقد الشاعر مولعا بوصفها، فصور جمال توهجها وحسن منظرها وتجمع الرفاق حولها، بقوله :

سَكَبَتْ فَحْمَهَا صفـائِحَ تبْـرٍ * رَصَّعَتْهَا بِالْفِضَّـة الْبَيْضَـاءَ**
كُلَمـا رَفـرَفَ النَسِيـمُ عَلَيْهَا * رَقَصَّتْ فِي غَلَالِـه حَمْـرَاءَ**
لَوتَرَانَا مِنْ حَولِهَا قَلَّتَ شُرْبٌ * يَتَعَاطُونَ أَكُؤُسَ الصَّهْبَاءَ**[3]

وفي قطعة أخرى يشير إلى أنها مصدر دفئهم، فهي كالأم بحنانها وحبها، في قوله:

لَهَا حَرِيْقٌ بِكَانُونٍ تَطِيْفُ بِهِ * كَمَثَلِ جَامٍ رَحِيْقٌ فِيْهِ مَكْرِعنَا**
تُبِيْحُنَا قُرْبُهَا حِيْنًا و تُبْعِدُنَا * كَالْأُمِ تَعْظِمُنَا حِيْنًا وتُرْضِعُنَا**[4]

فهذه الصورة التي صورها "**ابن شرف**" في تجمع المصطلين كانت أكثر حركة، وأشد عمقا في إعطائه النار صورة الخمر، فما بينهما من خاصية الانتشاء وبث الحرارة في ندمائها.

كما حظيت الفرس باهتمام الشاعر المغربي وحرصه عليها، وتفاخره بها وقوتها وسرعتها ونجابتها، لما تفجر لديه من رموز ومعان كثيرة يتشبث بها ويعتز بتحقيقها، كالبطولة والشجاعة والرجولة والمجد، لذلك كانوا يتعرضون لها، ويقفون عندها بإطالة ملحوظة في قصائد المدح خاصة، للعلاقة القائمة بينهما وبين الممدوح، وللقيم والمثل التي

---

(1)- محمد ابن شرف القيرواني، الديوان ، ص 73.
(2)- ينظر، محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 152.
(3)- محمد ابن شرف القيرواني، الديوان، ص 65.
(4)- **المصدر** نفسه، ص 67،68.

يوحيها ذكرها ويومئ إليها وجودها مما يتصل بالشرف والعزة والفخر والعلا[1]، وبذلك تأخذ الخيول بعد آخر في شعر المغاربة إلى جانب كونها أداة تنقل وحركة.

وفي ديوان "**ابن شرف**" الناقد الشاعر، وهو معروف بافتتانه بالطبيعة يستعير لفرسه ألوانا وصفات وخصائص: فهو كالريح، وكالبرق، وكالبحر، وكالشعلة في فحمة الليل البهيم، وإذا ابتعد عن الطبيعة منحه تشبيهات وصورا مترفة، فقد يصفه بالكأس ويشبه زبده بالحباب، إلى ما هناك من صور تعنى بالمظهر الخارجي من لون وهيكل ونشاط، فيصف فرسه التي تظهر فيها روح الطبيعة وصورها بقوله:

جالَ فِي أَنْجُمٍ مِنَ الْحلَى بِيْض * وقَمِيْصُ مِنَ الصَّبـاَحِ مُـذَالِ**
أَشْهَـــبُ اللَّـــونِ أَثْقَلَهُ حُلـِيُ * خَـبَّ فِيْهِـنّ وهُـو مُلْقَى الـْجِ**
فبـدَا الصُبحَ ملجـمًا بالثـريَا * وحِبرى البرقِ مُسرجًا بِأَطْلَالٍ[2]**

فهذه القطعة إلى كونها تزدحم بألوان وصور الطبيعة، فإنها تركز على سرعة الفرس، فهو أسرع من الطرف ومن الخيال والريح .

وفي نفس المعنى نجده يشبه وجه فرسه بالكأس ويشبه الزبد على شدقيه بالحباب، في قوله :

بَاسِمِ ثَغْرَ الْحُـلَى، تَحْسَـبُ أَنَّـهُ * كـأَسَ أَثَارَ بِـهَا المـزَاجُ حُبَابَا[3]**

فالشاعر حين استعار الابتسامة للون الفرس الأشقر جمع الإشراق والتوهج، وجعل للون ثغرا لما بين الابتسام والثغر من علاقة ترابط، ثم استساغ حينذاك أن يجـعل من رأس الفرس كأسا ومن زبده المثار على شدقيه حبابا، لما بين الصورتين– صورة الثغر وصورة الكأس بحبابه – من استحياء وتوالد، كما يتحقق بينهما من علاقة وصلة وشجيتين، ولا شك أن التشبيه طريف وغريب، وفيه جهد عقلي وكد ذهني، وللشاعر أيضا عودة أخرى إلى تشبيه وجه فرسه الأشقر جاعلا من غرته بيضاء، وذلك في قوله:

---

[1]- ينظر، محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 158.
[2]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص106.
[3]- المصدر نفسه، ص 115.

يَطَّلِعُ لِلْغُرَّةِ فِي سَقَرَةٍ * حُبَابَةُ تَضْحَكُ فِي كَأْسٍ**[1]

وهذه الصورة قريبة من الصورة السابقة، والشاعر في كلا البيتين يتوقف عند اللونين الأحمر والأبيض، وهما لونان يوحيان إليه بالخمرة بعد المزج و بحبابها الطافي على السطح.

- الهجاء

لم يكن"**ابن شرف**" الناقد الشاعر ميالا لهذا الغرض، وبخاصة أثناء إقامته في المهجر، والمرجح أنه قد نظم أغلب شعر الهجاء قبل خراب القيروان وخروجه منها، فقد هجا الأرذلين الذين يتسابقون على الحكم، فقال:

يَقُولُونَ سَادَ الْأَرْذَلُونَ بِعَصْرِنَا* وصَارَ لَهُمْ قَدْرُ وَ خِيلُ سَوَابِقُ**

فَقُلْتُ لَهُمْ: وَلَّى الزَّمَانُ ولَمْ تَنْزِلُ * تَفَرَّزْنَ فِي أخرى الْبُيُوتُ الْبَيَادِقُ**[2]

و يمكن عد هذا الهجاء هجاء سياسيا لأنه عني بالحكام وأصحاب المناصب العليا في الدولة، و يواصل هجاءه لهؤلاء الحكام حيث اضطرته الحاجة للجوء إليهم بقوله:

مَا فُلَانُ إِلَا كَجِيْفَةُ كَلْبٍ * والْضَّرُورَاتُ أَلْجَأَتْنَا إِلَيْهِ**

فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ باغٍ وَلَا عَا * دٍ فَلَا إِثْمَ فِي الْلجُوءِ إِلَيْهِ** [3]

وفي نفس المعنى يقول ساخرا من هؤلاء الحكام:

إِنَّا إِلَى اللَّه رَاجِعُونَ لَقَدْ * هَانَ عَلَى اللَّه ذَا الْبَلَدَ**

و فَسْوَةَ الكَلْبِ صَارَ قَاضِيًا * فَكَيْفَ لَو كَانَ ضَرْطَةَ الْأَسَدِ**[4]

في هذه الأبيات يظهر الشاعر تهكمه من مهجوه، قاصدا بذلك الحط من قيمته، والانتقاص من مكانته التي يحتلها، ويواصل في نقده لهذه الظاهرة فيصف المهجو بألفاظ تعبر عن الاستخفاف به.

---

[1]- المصدر السابق، ص 115.
[2]- المصدر نفسه، ص 107.
[3]- المصدر نفسه، ص50.
[4]- المصدر نفسه، ص 50.

ب - المرحلة الثانية: هي مرحلة انتقال الشاعر فيها من القيروان لما أصابها من خراب ودمار، فنظم في أغراض كثيرة منها الرثاء، الشكوى، الحكمة، وبعض شعر الزهد فضلا عن المدح الذي اتخذه وسيلة للتكسب.

_ الـــــرثـــــاء

حفل الشعر العربي على امتداد عصوره بألوان الرثاء على اختلافها، فظهرت بواكيره الأولى مع ظهور الشعر منذ فجر الجاهلية، فغلب عليه الندب والنواح، وتضمن تعداد فضائل المرثي، والثناء عليه، والإشادة بصفاته، مثلما تضمن في الوقت عينه أروع لوحات شعر العزاء، والحث على الصبر أمام نوائب الدهر.

ولقد استمر الأخذ بهذا التقليد، وبقيت الصورة الرثائية على ما كانت عليه في الجاهلية طيلة العصور الأدبية مع اختلاف يسير في مظاهر الشكل والتعبير والتفكير.

و لعله من المفيد أن أقول أن الرثاء القائم على أساس اللوعة والحزن والندب هو أعز شعر الرثاء، وأصدقه تعبيرا عن الحس والشعور، ولذلك كانت المراثي أشعر الأشعار؛ لأن أصحابها يقولونها وقلوبهم تحترق.

أما الحديث عن غرض الرثاء في الشعر المغربي القديم فقد تميز بما هو مألوف في قصيدة الشعر العربي من بكاء وتألم، لكن النص الرثائي عندهم كان رصدا للحقائق وعرضا للأحداث، حيث أن الشاعر كان يؤرخ للحادثة ولا يبكي صاحب الحادثة، وفي هذا الصدد يقول "**محمد الطمار**" متحدث عن الأدب المغربي القديم وبالتحديد في عهد الولاة:« البلاد حديث الاستعراب، والعصر يسوده الاضطراب وعدم الاستقرار، فمن البديهي أن لا نرى أدباء إلا ما كان من رجال الدين والفقه والدعاة الذين يغدون لتثقيف أهل البلاد »[1].

كما أن المنطقة « كانت تسير ثقافيا في ركاب قطار الثقافة المشرقية موضوعا، وشكلا، أو بناءا ومحتوى، بيد أن هذا الركاب نفسه لهذا العهد ما يزال مشدودا بسلاسل قوية جدا إلى عربات قطار الشعر الجاهلي »[2]. ويصفه "**العربي دحو**" حين تحدث عن الأغراض الشعرية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية و الإدريسية

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، د ط، دار الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، باتنة،1981م، ص 24.

[2]- **العربي دحو، في** دراسة الأدب المغربي القديم، د ط، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة،1986م، ص 81.

فقال: « هذا غرض آخر من الأغراض التي كثرت في الشعر المغربي القديم لتوفر الأسباب المساعدة على ذلك بحيث كانت المنطقة تعج بالصراعات والحروب»[1]. ثم يضيف في موضع آخر:« لهذا استخدم هذا الغرض بكثرة لإبراز بطولة المتشهدين، ولبث روح العزيمة والاستمرار على المواجهة، والثبات في المقاومة حتى تحقيق النصر أو نيل الشهادة »[2].

واستمر الرثاء على هذه الصورة لدى شعراء المغرب العربي خلال عهد الفاطمي و العهد الصنهاجي، وبقيت الصورة الرثائية في شكل رثاء الأشخاص والأفراد الذين لهم مكانة مرموقة في المجتمع، ومجمل القول:« أن الشعر المغربي القديم أو التقلبات التي عرفوها تشهد زوال دولة أو قيام أخرى، أو كانت حروب خارجية ضد المسيحيين في الأندلس، وأن أكثر ما وصلنا من شعر القوم كان في شكل رسائل ينفرد لها الشعر حينا، أو يأخذ النثر في التمهيد له حينا آخر»[3] .

و هذه الرسائل تشبه النقائض وكانت صادرة من أمراء وحكام أو قادة وثوار، فحظيت بأهمية تاريخية إلى جانب أهميتها الأدبية، ولاشك أن هناك موضوعات أخرى تتصل بالسياسة والصراعات التي تتناول آثار تلك الفتن والحروب، وقد نتج عنها نوع من الشعر يعرف ببكاء المدن المدمرة كما هو الحال عند "**ابن شرف**" الناقد الشاعر، بالإضافة إلى الذين اضطرتهم الفوضى وفقدان الأمن إلى الهجرة عن أوطانهم، وهو ما عرف بشعر الحنين إلى الوطن.

ومن المعروف أن الابتعاد عن الوطن هو الذي يقدح زناد الشاعر فيجعله يتفنن في التعبير عن الشوق والأسف على ما أصاب البلاد والخوف من ضياعها، والقيروان من أبرز الحواضر الإسلامية التي عرفت فترة ازدهارا كبير، ومحطات استقرار وتطور عمراني وثقافي في ترجمة حياة أدبية كشف عن بعض جوانبها "**ابن رشيق**" في كتابه:« أنموذج الزمان » وكذلك قصائد الشعراء الذين ابتعدوا أو أبعدوا عنها اثر الزحف الهلالي، لهذا جاءت قصائد "**ابن شرف**" تصف آثار النكبة وما خلفته، وفي هذا المجال

---

[1]- **العربي دحو، الشعر المغربي من الفتح الإسلامي** إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية و الإدريسية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 62.

[2]- المرجع نفسه، ص 62.

[3]- المرجع نفسه، ص 66.

أطنب "**ابن شرف**" في وصف الحالة التي آلت إليها القيروان، ولعل ما قاله في هذه الأبيات التي وصف فيها قلة حليته وهجرته مع أبنائه بعد اجتياح الأعراب القيروان أبرز مثال جسد هذه المرحلة، فنجده يصف ذلك بقوله:

كَأَنِّي و أَفْرَاخِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَنَا * و بَاتَ الْكَرَى يَجفُو جَفْوْنَا و يَطْرُقَ**
حَمَائم أَضَّلَلْنَ الْوكُورَ فَضَمَّهَا * تَجَانُسُهَا حَتَى تَرَاءى الْمَفْرِقَ**
إِذَا أَفْزَّعْتُمْ بِنَوةٍ زَاحَمُوا لَهَا * ضُلُوعِي حَتّى وَ دَّهَمْ لَو تَفَتَّقَ[1]**

يصور الشاعر في هذه الأبيات رحلته عبر البحر مع أطفاله إلى الأندلس تصويرا مؤثرا، وهي رحلة مريعة، حيث كانت الأمواج تتقاذفهم من حين إلى آخر، فمثل حاله وحال أولاده وقد أتعبهم الخوف والفزع، فشبه حالهم مثل حال تلك الحمائم التي ظلت أوكارها فأنضم بعضها على بعض حتى الصباح ، وهي كناية عن الضعف وقلة الحيلة. كما صور حالة رحيل السكان منها في أكثر من قصيدة، فيقول:

تَرَحَّلَ عَنْهَا قَاطِنُوهَا فَلاَ تَرَى * سِوَى سائرٍ أَو قَاطِنٍ و هُو سَائِرَا**
فَتَرى أَشْرَفَ الْبَرِيَة نَفْساً * نَاكِساً رَأْسَهُ يُلَاطِفُ نَذْلاَ**
فَهُمْ كُلَّمَا بَتَّتْ بِهِمْ أَرْ * ضُ مَطَايَا الْفِرَاقُ خَيْلاً و رَجُلَا**
لاَ يُلَاقِي النَّسِيْبُ مِنْهُمْ نَسِيْباً * يَتَغَزَّى بِهِ و لَا الْخِلُّ خَلَّا [2]**

ثم يشير كيف قتلوا الرجال، وسبوا النساء ونهبوا الأموال، وشردوا الأطفال والرضع، وخروج الناس حفاة هاربين خوفا من العدو، فيقول :

ولَهُمْ زَحْمَةٌ هُنَاكَ تَحْكِي * زَحْمَةَ الْحَشْرِ و الْصَحَائِفُ تُتْلَى**
مِنْ أَيَامِي وَرَاءَهُنَّ يَتَامَى * مُلِئُوا حَسْرَةً و شَجَوا و ثَكَلا**
وحِصَانٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنَا * كَفَّنَتْهَا الْأَطْمَارُ نَجْلَاءَ كَحْلاَ**

---

[1]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 72.
[2]- المصدر نفسه، ص 89.

فَاتَ كُرْسِيْهَا الْجَلَاءُ فَأَضْحَتْ * فِي ثِيَابِ الْجَلَاءِ لِلنَّاسِ تُجْلَا**[1]

ولعل هذه الأبيات من عيون الشعر العربي في الرثاء القيرواني، من حيث دقة التصوير ما أصاب القيروانيين من ذل وهوان أثناء تعرض مدينتهم من قبل الغزاة، فمنحها درجة عالية من الإيحاء والتصوير.

و"**ابن شرف**" لا ينقطع في وصف شوقه وحنينه لوطنه، فقد بكى مدينته بشعر رقيق، يدل على امتلاكه لموهبة شعرية، وقدرة فنية على قول الشعر وخوض غماره بمهارة و براعة، في قوله:

يَا قَيْرَوَانُ وَدَدْتُ لَو أَنَنِي طَائِرُ * فَأَرَاكِ رُؤْيَةَ بَاحِثٍ مُتَأَصِّلِ**
آهًا و أَيَةَ آهٍ تُشْفِي جَوَى * قَلْبٍ بِنِيْرَانِ الصَبَابَةِ مُصْلَى**
أَبْدَتْ مَفَاتِيْحُ الخُطُوبِ عَجَائِبًا * كَانَتْ كَوَامِنَ تَحْتَ عَيْبٍ مُقْفَلِ**[2]

في هذه الأبيات تمنى الشاعر لو أنه طائر يستطيع التحليق لرؤية وطنه الذي اضطرته الظروف للابتعاد عنه، لأن الاغتراب الذي عاشه الشاعر زاد من حنينه إلى الوطن و تعلقه به، سواء أكان الاغتراب بالانتقال من إقليم إلى إقليم، أو مدينة إلى مدينة، فكان كلما اشتدت عليه وطأة الاغتراب ونالت من وطنه فزع إلى الشعر يبثه شوقه وحنينه إلى وطنه وأهله وأحبابه.

لذلك ليس غريبا أن نجد الشاعر إذا بكى مدينته المنهارة، فإنما يبكي تاريخه وحضارته ووطنه، وأيامه السعيدة التي تمتع بها ردحا من الزمن، ونعم في أكفانها عددا من السنين، وحين يرى بعينه مسرحية الاندثار والفناء، ويشاهد فصولها التعيسة، يكاد يصعق من هول الكارثة و شدة الصدمة.

---

[1]- المصدر السابق، ص 87.
[2]- المصدر نفسه، ص 54.

_ الـــزهـــد

الزهد في الحقيقة دعوة إلى العزوف عن متاع الدنيا وملاذها، وتجنب مغرياتها وبهرجتها، والتمسك بالعمل الصالح والسلوك القويم، وإقناع الذات أن العناء لاحق كل شيء، وأن العمر مهما طال سينتهي، وأن النعمة مهما أشعت ستزول، ولا شيء باق على حاله، فالتغير كامن في جوهر الأشياء، وليس أمام الإنسان إلا أن يتزود وخير الزاد التقوى.[1]

وشعر الزهد في ديوان الشاعر "**ابن شرف**" قليل، وذلك لانشغاله بهموم الدنيا وقضاياها، وبخاصة خلال إقامته في بلاد المهجر، فقلبه مشغول بهموم الوطن والغربة، فيتقدم بشكواه إلى الله، فيقول:

شَكَـــوتُ حُـــزْنِي وبَثِّـــي * إِلَـــى الْقَـــرِيْبِ الْمُجِيْبِ**
فَكَـــانَ عُـــقْـــبَاي عُـــــقْ * بِـــــي نَبِيْـــهِ يَعْقُـــوب[2]**

كما نجده أيضا يحث ضرورة الحرص على الدنيا والآخرة معا وذلك بطاعة الله والامتثال لأوامره، بقوله:

سَأَبْقَى عَلَى الْدُنْيَا بِصَوتِه لَهُ مُجَّرَبُ * وإِلَا عَلَى الأُخْرى بِوصْلَةِ محْرَابُ**
ولَا خَيْـر فِـي عَيْشٍ يَكُـونُ قِـوامُـهُ * بِمَنْحِـهِ مَكْذُوبٍ ومَدْحِـهِ كَذَاب[3]**

وإلى جانب هذه المعاني نجد الشاعر أكثر من عتاب نفسه ولومها على ذنوبها، وفيها يظهر الأسى والأسف بما يذرفه من حمر الدموع، فيقول :

أَسِيـــرَ الْخَـــطَايَـا عِنْـدَ بَـابِكَ وَاقِـفُ * لَهُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ قَلْبُ مُخَالِفُ**
قَدِيـمًا عَـصَـا عَـمْـدًا وَجَهْـلًا وعِزَّةً * وَلَـمْ يَنْـهَهُ قَلْبُ مِـنَ للَّه خَـــائِـفُ**
تَـــزِيْـدُ سُنُـوهُ وهُـو يَـــزْدَادُ ضـــلَّةً * فَهَا هُوَ لَيْـلِ الضَّـلَالَةَ لَهُ حَالِفُ**
فَهَـلْ أَرَقَّ الطَّرَفُ الزَمَانُ الذي مَضَى * وأَبْكَاهُ ذَنْـبَا قَـدْ تَـقَـدَّمَ سَـــالِـفُ**
فَجَّـدَ بَالـدُمـوعِ الْحُـمـرِ حُـزْنَا وحَسْرَا * فَدَمْعُكَ يَنْبَنِـي أَنَّ قتَلْبُكَ آسِـفُ[4]**

---

[1]- ينظر، محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس، ص 293.
[2]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 40.
[3]- المصدر نفسه، ص 39.
[4]- المصدر نفسه، ص 43.

ومن بواعث الزهد أيضا تناقض الحياة وتقلبها، وتغير الأيام وغدرها، والزهد حينذاك مرفأ ينأ بالمرء عن ظروف الدهر ومزالق الدنيا وتغير الأحوال، متخذا صفة الرفض والاحتجاج الفردي، رفضا للوجود والمجتمع واحتجاجا على الزمن الخائن، وهذا الزهد لا يبتعد كثيرا عن الانهزام و الجبن، وإن اتخذ أحيانا أخرى سمة فلسفية ونظرة متألمة فاحصة للقدر والحياة و المجتمع، وهذه الفلسفة تأخذ عادة طابع التسليم للقضاء وترك الأمور للمقدور، والتصبر على التغير، فهي طريق يخلص الإنسان نوعا ما مما يشعر به من تمزق وألم، ويبعث في ذاته الطمأنينة والهدوء النفسيين، ويمده بالقناعة والرضا بقوله:

أُشْكُرْ لِرَبِكَ وانْتَظِـرْ * فِي أَثَرِ عُسْرِ الْأَمْرِ يُسْرَا**
واصْبِر لِرَبِكَ وادْخُلْ * فِي سُتْرِ ضُرِّ الفَقْرِ أُجْبِرَا**
فالدَّهْرُ يَعْثُر بِالْوَرَى * والصَّبْـرُ بِالْأَحْرَارِ أُخْـرَى**[1]

وصفوة القول هذه أشهر الأغراض الشعرية التي نظم فيها الناقد الشاعر "**ابن شرف القيرواني**" شعره، فجاء شعره معبرا عن البيئة التي وجد فيها، والحياة الاجتماعية التي احتضنته، والظروف الاجتماعية التي وسمته[2]، فعد من فطاحل الشعراء في عصره فضلا عن آرائه النقدية التي احتفظت بها كتب التراجم والنقد، وهو ما سيتضح في الفصل الموالي.

---

[1]- المصدر السابق، ص 96.
[2]- ينظر، نورة بوغقال، القيم الجمالية والخصائص الفنية في شعر ابن شرف القيرواني، ص 35.

الفصل الثاني: منهـــج ابـــن شـــرف النقـــــدي

- **تـــــوطئـة**

أولا :النقد والنقاد في عصر **ابن شرف**

ثانيـــــا: آراء **ابن شرف** النقدية

- مفهوم الشعر
- خصائص الشعر
- قضية السرقات الشعرية
- قضية اللفظ والمعنى
- قضية الطبع والضعة
- قضية القديم والجديد

توطئة

لم تعرف الحياة الأدبية والعلمية عند العرب عهدا خصبا بالرجال والأفكار، ومختلف الأمزجة، كما عرفت في بداية القرن الثالث. فقد كان فيه ضروب شتى من التفكير، وضروب شتى من البحوث، وقد كان فيه ولوع بالمعرفة، وانصراف إلى العلوم والفنون. فبينما رجال الدين يبحثون في القرآن والحديث والفقه والأصول، نجد علماء العربية يجمعون اللغة، ويدونون النحو، ويستنبطون العروض، إذا بعلماء آخرين ينقبون في آثار الفرس والسريان واليونان، وينقلون منها إلى العربية الصالح المقبول. وما انقضى عصر الرشيد حتى كانت العلوم اللسانية والشرعية قد دونت، وألم العرب بكثير من أفكار الأمم الأجنبية وأساليبها في البحث والتحليل. وهذه الحياة العلمية المتشعبة هي التي أخرجت "**الجاحظ**"، و"**سهل بن هارون**"، و"**أبا تمام**"، و"**ابن الرومي**" وغيرهم من الكتاب والشعراء، وهذه الحياة العلمية أثرت في النقد تأثيرا كبيرا لا في ظواهره فقط ولا في أشكاله، بل في جوهره وحقيقته، وفي الأمزجة التي يصدر عنها، وفي الثقافة التي ينحدر منها.[1]

فالنقد الأدبي منذ القرن الثالث يقوم على البلاغة والثقافة والفلسفة والمنطق وكل ما دخل في الذهن العربي من المعارف الأجنبية، فهو نقد متشعب النواحي، مختلف الأمزجة، دقيق متأثر بكل ما جاء به العلم في صدر الدولة العباسية، متأثر كذلك بروح النقد القديم؛ نقد فيه بحوث قيمة منها ما أدخل شيئا من الترتيب والتنظيم والقواعد التي تعين الناقد على الفهم والحكم، ومنها ما شرح بعض مظاهر الأدب، وعلل كثيرا من حالاته. ومن هنا يمكن القول أن النقد عند المحدثين يقوم على دعامتين اثنين:على ما سرى إليه من العصور التي سبقته من خصائص وأحكام، وعلى كل ما دخل فيه من أثر البلاغة والمنطق والفلسفة والجدل. وينبعث النقد الأدبي عند المحدثين عن ذهنيات أربع، بين كل ذهنية وأخرى تفاوت كبير: ذهنية اللغويين، وذهنية العلماء الذين تأثروا كل التأثر بما نقل عن اليونان.[2]

فاللغويون وفصحاء الأعراب لا يزالون من حملة الشعر ونقاده، ولا يزالون من أنصار القديم، وهم منبثون في البصرة، والكوفة، وبغداد، و نيسابور، وشيراز وغيرهما من البلدان،

---

[1]- ينظر، أحمد إبراهيم طه، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية إلى القرن الرابع الهجري، ص 135.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 137،136.

وغير اللغويين وفصحاء العرب طائفة درست الأدب قديمه وحديثه، وأخذت القديم عن اللغويين والنحويين، ولكنها عنيت بالمحدث أشد من عناية هؤلاء وحفلت به، وأقبلت على تحليل عناصره، وما يتجدد فيه عهدا بعد عهد، وتلك هي طائفة الشعراء والأدباء وعلماء الأدب. ومن أظهر الأمثلة لهؤلاء "**عبد الله بن المعتز**"، وهذه الطائفة تنقد في الشعر المحدث عناصره، وتنوه بالمقبول منه و المرذول، وتوازن بينه وبين الشعر القديم، وتورد كل ما تورده في نفس قصير، ودون تشعب في البحث، ودون إقامة الحجج، واهتداء لشرح العلل.[1]

وكذلك وجد من العلماء من هو نحوي لغوي دارس للشعر القديم والمحدث، دارس لكثير من العلوم الكونية و النقلية، ملم بشيء من أثار الأمم القديمة، فجاء له ذوق خاص في نقد الأدب، يتأثر بالمعارف التي نقلت وبالبلاغة التي عرفت، وبذهنية العلماء في التنظيم والترتيب. ومن هؤلاء" **أبو محمد عبد الله ابن قتيبة**" العالم الأديب.[2]

وإذا كان العرب قد وقفوا على بعض آثار الفرس والسريان واليونان منذ القرن الثاني، و خاضوا في تحديد البلاغة، ماهي؟ وأين تكون؟، فإن معارفهم في القرن الثالث قد اتسعت ونمت، فلم يكد يشرف هذا القرن على نهايته حتى كانت لدى العرب كتب بأسرها في علم البلاغة وفي النقد الأدبي نقلت عن اليونان, وتأثر بها بعضهم تأثرا كبيرا, واتخذوها مقاييس لهم في نقد الأدب[3]، وتلك هي الذهنية الرابعة التي وجدت في النقد، وهي أجنبية محضة، لا تمت بسبب إلى القديم، ولا تركن إلى أصل من أصوله المعروفة، و إنما تستمد كل شيء من اليونان وتجتلب له الشواهد اجتلابا عنيفا من الأدب العربي. وأصدق مثال لتلك الذهنية الأجنبية "**قدامة ابن جعفر**" الكاتب البغدادي صاحب كتاب (نقد الشعر).[4]

وصفوة القول هذه هي الذهنيات الأربع التي تقسمت النقد الأدبي في القرن الثالث، فكان لكل منهما صورة فيه. وهــؤلاء النقــاد لم يقتصروا على نقـــد لفظ أو معنى أو بيت أو قصيدة أو شاعر، بل تأثروا بروح العصر في الكتابة والتأليف، فخاضوا في كثير من

---

(1)- ينظر، المرجع السابق، ص 137.
(2)- ينظر، المرجع نفسه، ص 139.
(3)- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 75.
(4)- ينظر، المرجع نفسه، ص 140.

المسائل الأدبية، وألفوا عدة رسائل وكتب في نقد الشعر والشعراء. فهذه الذهنيات هي أظهر الطرق في فهم الشعر، وتذوقه خلال القرن الثالث.

كذلك أنفسح النقد الأدبي انفساحا عظيما في هذا القرن، وتفاوتت فيه المناحي والطرق ووجهات النظر. وإذا كان نقاد القرن الثالث الهجري قد فطنوا إلى عناصر الشعر القديم وخصائصه ومذاهبه الأدبية وميزات رجاله، فإن رجال القرن الرابع قد وقفوا وقوفا حسنا على العناصر الجديدة التي ظهرت في الشعر المحدث، فأدركوا ما فيها من كريم وهجين، وصالح وفاسد، ومتمشي مع سنن العرب، وخارج على النهج المألوف. فكان بذلك الفضل في تحليل الشعر المحدث والوصول إلى أكثر خصائصه، وإنما كان للنقاد والأدباء وإن لم يصلوا دائما إلى تعليل و إقامة الحجة على آرائهم. فأما الذين أتموا القول في الشعر المحدث، وحللوه، وعللوه، وبينوا العيوب، وأظهروا الأخطاء، ووضحوا كثير من وجوه التفاوت بين القديم و الحديث، وخاضوا في كثير من المسائل الأدبية القيمة التي تتناول الشعر العربي كله، و تأملوا الأسباب واهتدوا لشرح العلة، واستقصوا الاحتجاج وأيدوا ما ارتضوا، ودحضوا ما أنكروا بذوق سليم، ومنطق مستقيم بما ألفه القدماء[1]، فأولئك هم نقاد القرن الرابع، وتميزت القيروان عن غيرها من الحواضر بصفة خاصة، واستقطبت معظم الشخصيات و النشاطات الفكرية.[2]

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص 142.

[2]- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص 36، عن محجوب بلمحجوب، مجلة حوليات الآداب واللغات، الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري، العدد 2، جامعة المسيلة، 2013، ص 16.

أولا: النـــــقد والنقـــــاد في عصر ابن شرف القيرواني

تقدم النقد الأدبي تقدما ملموسا، فوضعت قواعده، وأرسيت أسسه ونظرياته بفضل عدة عوامل: كالترجمة، وتقدم العلوم البلاغية، وجهود المتكلمين واتجاههم الفلسفي، وبحوثهم في مختلف الميادين، وإفادتهم من كل ثقافة استطاعوا الوصول إليها وتحصيلها وهضمها، واستغلالها أحسن استغلال، وليس غريبا أن يؤثر المتكلمون في النقد الأدبي. ولعل أقدم شاهد على ذلك هي صحيفة "**بشر بن المعتمر**"، حيث جمع قواعد البلاغة، وبين كيف يحسن الخطيب خطابه، متحاشيا التوعر والتكلف ومراعيا مقتضى الحال.[1]

وكان "**الجاحظ**" خير دليل على تأثير هؤلاء المتكلمين في النقد وتقدمه، وظل هذا التقدم في نمو واطراد حتى جاء القرن الرابع الذي بلغ فيه التقدم قمته، ففيه ظهر كبار النقاد "**كقدامة بن جعفر**، و"**اللآمدي**"، و"**القاضي الجرجاني**" وغيرهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى ظهور أصحاب رسائل النقد الشعري أمثال "**مهلهل بن يموت**" في رسالته المعروفة بـ: (سرقات أبي نـــواس), و"**الصاحب بن عباد**" في رسالته (الكشف عن مساوئ شعـــر المتنبي)، وتضمنت هذه الرسالة نقد الألفاظ والأغراض، والوزن والقافية، والصورة الشعرية والسرقات في شعر "**المتنبي**"، و"**الحاتمي**" في رسالتيه(بالرســـالة الموضحة) و(الرســـالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كـلام أرسطو في الحكمة)، فالرسالة الأولى حدد فيها "**الحاتمي**" مواضع اجتلاب "**المتنبي**" وسرقاته وسقطات أسقطها في شعره)، أما الثانية _الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة_ فتضمنت مئة بيت شعري "**للمتنبي**" أردفها "**الحاتمي**" بمائة قول "**لأرسطو**" دون أي تعليق، و"**ابن رشيق القيرواني**" في رسالته (قراضة الذهب في نقد أشعار العرب)[2]، وهذه هي بيئة القرن الرابع التي أخرجت مثل "**أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني**".

---

[1]- ينظر، شوقي ضيف،الفن ومذاهبه، ص 132.

[2]- ينظر، حسين علي الزغبي ، النقد في رسائل النقد حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2002م ، ص 22.

ثانيا: آراء ابن شرف النقدية

_ مفهوم الشعـــر

حظي الشعر في التراث العربي ببالغ الاهتمام، فهو ديوان العرب ومنتهى حكمتها، ولاشك أن مبعث هذا الاهتمام راجع إلى ما يثيره في الذات المتلقية من إحساس جمالي لما فيه من إشباع لحاجته الروحية والفكرية والمعرفية، فهو وسيلة لغوية استعملها الإنسان في التعبير عن الجمال الناتج عن تأملاته الكونية فجر التاريخ.

و بالنظر إلى أهمية الشعر انصب اهتمام النقاد على تحديد مفهومه وضبط معالمه، إلا أن ذلك لا يتأنى بمعزل عن تحديد وظيفته؛ ذلك لأن الشعر ليس تعبيرا جميلا فحسب، بل هو ذو دلالة تؤثر في المتلقي. وعلى هذا الأساس سأحاول تسليط الضوء على مفهوم الشعر عند الناقد الشاعر "**ابن شرف القيرواني**" مع محاولة رصد أهم خصائصه ووظائفه.

يعد مفهوم الشعر من أهم القضايا النقدية التي نالت اهتماما كبيرا من قبل النقاد قديما وحديثا، ومن بين هؤلاء "**ابن شرف**" الذي يرى أن«أملح الشعر ما قلت عباراته، وفهمت إشارته، ولمحت لمحه، وملحت ملحه، ورققت حقائقه، وحققت رقائقه، واستغنى فيه بملحه الدالة، عن الدلائل المتطاولة، وأمثال هذا الكلام في استعمال النظام » [1].

وأورد في الحد الفني للشعر قوله « وأحسن الحسن منه أي من الشعر ما اعتدل مبناه، وأغرب معناه، وزاد في محمودات الشعر ما سواه »[2].

حاول "**ابن شرف**" في سياق حديثه أن يتكلم عن الشعر، ويحدد بعض جوانبه وقضايا، وربما سياق حديثه منعه من ذلك، فاكتفى بالإشارة إلى أملح الشعر وأحسنه ما كانت ألفاظه قليلة وعباراته موجزة، ومقاصده بينة وواضحة، بعيدة عن التعقيد والغموض على أن يكتفي الإشارة والتلميح، ويستغني عن الإطالة والتطويل، وأن أحسن الشعر ما كانت معانيه عميقة الفهم بعيدة الدلالة غير مطروقة ولا مبتذلة.

---

[1]- محمد ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، تحقيق، حسن حسني عبد الوهاب، ط 1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1983م، ص15.

[2]- المصدر نفسه، ص 15.

ومن المتفق عليه أن الغموض مرغوب فيه في الحقل الفني، وشرطا قويا من شروط وجوده، لكن يجب ألا يفضي إلى تعميمه مما يجعل المتلقي مذهولا إزاء ما يسمع ويقرأ، لأن تحقيق هذا الهدف يختصر كثيرا من الثرثرة، ويبعد كثيرا من الزوائد الشكلية دلالة ومدلول، وهو بهذا المفهوم يحيل على بيت "**البحتري**":

وَلَيْسَ بِالْهِذْرِ طُولَتْ خُطْبُهُ * والشِّعْرُ لَمْحُ تَكْفَي إِشَارَاتُهُ** [1]

وتلاقي "**ابن شرف**" الناقد الشاعر في حد الشعر ومفهومه مع "**البحتري**" دليلا على أن المطبوعين من النقاد والشعراء لا يختلفون في طريقة صياغة أحكامهم، ولا تحدث بينهم حرب في المفاهيم و الشكليات العامة.

إذن يمكنني القول أننا بإزاء مقولة تتلاءم مع طبيعة المفاهيم التي سادت الخطاب الأدبي بصفة عامة، والخطاب الشعري خاصة، وهي أن البلاغة هي الإيجاز.

ومن هنا جاء تحديد الناقد لمفهوم الشعر ليحيل على كل هذا متناقضا مع ما هو متداول في التراث العربي الإسلامي، مؤكدا أن الخطاب الشعري لا يحتمل ما يحتمله الخطاب النثري. ويمكن القول أن "**ابن شرف**" لم يأت بجديد في حد الشعر، حيث تعرض إليه فيما سبق النقاد، سواء المشارقة أو المغاربة. غير أن الناقد أراد تأكيد الفكرة ليكون السياق مناسبا، فأوضح رأيه الصريح في الخطاب الشعري الراقي الذي يمتاز عن غيره بصورته وبنيته وروعته.

ـ خصـــــائص الشعـــــــر

الخصائص التي ينفرد بها الشعر عن سائر ضروب الأدب، والتي يصل بها إلى التأثير العظيم في النفوس، تنحصر في أربعة خصائص هي:

- المعاني.
- الألفاظ.
- الأوزان الشعرية.
- الصورة الشعرية.[2]

---

[1]- إحسان عباس، تاريخ الأدب **القد الأدبي عند العرب** ، ص 454.

[2]- ينظر، حسين علي الزغبي، **القدفي رسائل القد للشعري** حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 85.

أ- المعاني الشعرية :

أكثر ما تمتاز به المعاني في الشعر أنها مصبوبة في قوالب خيالية، ولذا يكثر الشعراء من استخدام التشبيه، والاستعارة والكناية، والغلو في التصوير والتمثيل، وهذه الصورة الخيالية المختلفة ترمي إلى عالم خيالي.

لقد قسم النقاد الشعر إلى أغراض، فمنهم من بناه على سبعة أضرب، ومنه من بناه ستة أضرب، ومنهم من رآه خمسة أضرب، ومنهم من رد الشعر إلى غرضين، المدح والهجاء.

استعمل النقاد العرب كلمة المعنى ويريدون بها أمرين اثنين: الأول الأغراض الشعرية، والثاني المعاني الجزئية من أفكار وصور شعرية، ومن أشهر الأغراض الشعرية التي تناولها "**ابن شرف**" الناقد الشاعر في رسالته (مسائل الانتقاد) غرض المدح، وهو من أشهر الفنون الرئيسية في الشعر العربي. ويتضح ذلك من خلال القصة التي أوردها "**للأعشى**" مع "**المحلق**" الذي تأخرت بناته في الزواج، وما إن مدحهن "**الأعشى**" حتى تسارع أهل القبيلة لخطبتهن [1]. فقد أشار إشارة سريعة إلى أهمية هذا الغرض في محاورة أجراها مع "**أبي الريان**"، فهو السجل الذي يحفظ مآثر القبيلة، وأمجادها في إطار فني بديع لذلك علت منزلته في نفوس العرب وقدسوا كل قصيدة تتغنى بأمجادها، وقد أشار "**ابن شرف**" إلى ذلك بافتخار بني تغلب بقصيدة "**عمرو بن كلثوم**"، بقوله : « أما **ابن كلثوم** فصاحب واحدة زائدة (يعني قصيدته المعلقة) أنطقه بها عز الظفر، وهزه فيها جن الأشر، فقعقت رعوده في أرجائها، وجعجعت رحاه في أثنائها، وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلي إليها، وملتها التي تعتمد عليها، فلم يتركوا إعادتها، ولا تخلفوا عن عبادتها إلا بعد قول القائل:

أَلْهَى بَنِي تَغلبٍ عنْ كُلِّ مَكْرمَةٍ * قصيدة قَالَها عَمْرُو بن كَلثومِ** »[2]

فهذه الإشارة القصيرة حسب رأي "**ابن شرف**" توضح أن الشاعر يمجد قبيلته ويدافع عنها ويشيد بمفاخرها ومآثرها. فالشعر عنده يسجل ويحفظ الكلام حتى لا يندثر.

---

[1]- **محمد بن شرف، مسائل الانتقاد، ص 18.**
[2]- المصدر نفسه، ص 18،17.

اهتم "**ابن شرف**" أيضا بالوظيفة الأخلاقية للشعر، و أشار إلى شعر "**طرفة بن العبد**" لما فيه الكثير من الحكم، حيث كان دائما يسعى من وراء حكمه إلى إصلاح النفس البشرية وتأديبها على القيم الفاضلة.[1]

وإذا كان "**ابن شرف**" قد حدد بعض الوظائف الإيجابية للشعر فإنه أيضا ذكر أن الشعر قد يؤدي وظائف سلبية فيساهم في هدم القيم والأخلاق داخل المجتمع، وقد أورد مثالا عن ذلك في انتقاده لبعض أشعار "**امرئ القيس**"، في قوله :

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قد طَرقَتْ ومُرْضِعَا * فألهَيْتُهَا عن ذِي تَمائمِ مُحَولِ** [2]

فقد اعتبر قوله هذا منافي لما هو معروف، فقد نهى الله الناس عن هذا الفعل والإعراض عنه. كما انتقد أيضا شعر "**الفرزدق**" لكثرة الإدعاء بالزنا و استدعاء النساء ومنها قوله :

همَا دَلَيَاني من ثـمانينَ قـامةٌ * كمَا انقض باز أَقتمُ الريشِ كاسيرهُ**[3]

وقد علق "**ابن شرف**" على هذا القول بأنه « أول كذبة ولو قال من ثلاثين قامة لكان كاذبا لتقاصر الأريشة عن ذلك »[4]، وقد رد عليه "**جرير**" بقوله :

تَدَلَّيْتَ تَزْنِي من ثَمَانِينَ قَامةً * وقَصَّرتَ عن بَاعِ العُلَى و المكَارِمِ**[5]

أورد "**ابن شرف**" هذه الأمثلة لبين أن الشعر مرتبط بأغراض خلقية نبيلة، لذلك وجب السمو عن الأخلاق الذميمة وتسخيره في سبيل تشيد الأخلاق الحميدة التي تهذب النفس البشرية .

ويرى أيضا أن الشعر مثلما يرفع من قدر بعض القبائل فهو يحط من بعضها الآخر، و مثل ذلك بقول "**الحطيئة**": « خبيث هجاؤه، شريف ثناؤه، صحيح بناؤه، رفع شعره من الثرى، وحط من الثريا، أعاد بلطافة فكره، ومتانة شعره، قبيح الألقاب فخرا يبقى على الأحقاب، و يتوارث في الأعقاب»[6].

---

(1)- **المصدر السابق، ص 16.**
(2)- المصدر نفسه، ص 29.
(3)- الفرزدق، الديوان، مج3، دار بيروت للطباعة و النشر، 1984م، ص 212.
(4)- محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 31.
(5)- جرير، الديوان، شرح، حمدو طماس، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2003م، ص 451.
(6)- محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 19.

نفهم من هذا النص أن الشعر يزيد من قدر بعض القبائل، كما يحط من بعضها الآخر، وفي النص تلميح إلى بني أنف الناقة، فهؤلاء القوم كانوا يخجلون من لقبهم، ولكن بمجيء "**الحطيئة**" تحول هذا اللقب إلى مفخرة بعد أن كانوا ينفرون منه فمدحهم "**الحطيئة**" بقوله:

قَومٌ هم الأنف والأَذْنَابُ غيرُهُمُ * ومن يُسَوي بِأَنفِ النَّاقةَ الذَّنَبا**[1]

يرى أيضا أن للشعر وظيفة إطراب وتنفيس، ونستشف ذلك من خلال حديثه عن "**الصنوبري**": « وأما الصنوبري فصيح الكلام غريبه، مليح التشبيه عجيبه،... وهو وحيد جنسه في صفة الأزهار وأنواع الأنوار... وقد مدح وهجا، وسر وشجى، أعجب شعره و أطرب، وشرق و غرب»[2].

وإلى جانب هذه الوظائف التي يتميز بها الشعر عن غيره من الوظائف فهو أيضا له وظيفة مادية عن طريق التكسب في قوله عن شعر "**أبو علي التونسي**" : « فشعره المورد العذب، ولفظه اللؤلؤ الرطب، وهو بحتري المغرب، يصف الحمام فيروق الأنام، ويشيب فيعشق و يحبب، ويمدح فيَمنح أكثر مما يُمنح »[3].

نفهم أن الشاعر كان يتكسب بشعره، ولكنه يرى مدائحه أعظم مما ناله من أموال. فقال أيضا عن "**الصنوبري**": « ومدح من أهل من افريقية أمير الزاب **جعفر بن علي الجذامي** منفق سلع الآداب، ووصله بألف دينار بعثها إليه مع ثقاة التجار»[4].

نستشف من هذا النص أن ناقدنا الشاعر معجب بتصرف أمير الزاب، فقد عرف قيمة مدح الشاعر فأجزله العطاء، على عكس "**أبو علي التونسي**"، ومن هنا يمكنني القول أن "**ابن شرف**" مثله مثل غيره من النقاد العرب، فقد حاول الإشارة إلى وظائف الشعر التي يمكن أن يؤديها على مستوى الفرد والجماعة .

---

(1)- الحطيئة، الديوان، ص 17.
(2)- **محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص** 24.
(3)- المصدر نفسه، ص 26،27.
(4)- المصدر نفسه، ص 24، 25.

ب- القافية

اختلف النقاد في تعريف القافية، فقال "**الخليل**": هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع التحرك الذي قبل الساكن. وقال" **الأخفش**": هي آخر كلمة في البيت، وإنما سمي البيت قافية لأنها تقفو الكلام، أي تجئ في آخره ومم ثم سمي البيت قافية. ومنهم من يجعل حرف الروي هو القافية. والجيد المعروف من هذه الوجوه، قول "**الخليل**" و"**الأخفش**": القافية عنصر أساسي تشارك الوزن في الاختصاص بالشعر[1]، وهذا ماعبر عنه "**ابن رشيق**" بقوله: « القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يكون الشعرا حتى يكون له وزن وقافية»[2].

وهذا العنصر حاز على اهتمام **ابن شرف** وغيره من أصحاب الرسائل النقدية، ويرى أن القاقية يجب أن تقع موقعها، حيث لا يستطيع أحد أن يستبدل بها قافية أخرى تسد مسدها. فقد ذكر عيبا من عيوب القافية، وهو الحشو، فقال:« ويقبح الإتيان بكلمة معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام، و إنما هي مفردة الحشو القافية ، كقول بعضهم:

فبلغت المنى برغم أعاديب * ك وأبقاك سالما رب هود**[3]

عني "**ابن شرف**" بالحشو القافية التي لا فائدة لها في البيت، ولأن القافية في هذا البيت كانت دالية فأتى بذلك بسجع لا فائدة معنى بما أتى به منه.

ج- الصورة الشعرية

إن مصطلح الصورة « مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثر بالنقد الغربي ولاجتهاد في ترجمته ». ومن ثم فإنه « من المصطلحات الوافدة »، على نقادنا المحدثين. و"**مصطفى ناصف**" على الرغم من أنه عنون كتابا له باسم (الصورة الأدبية) فضل لفظ الاستعارة على الصورة، إذ قال « إن لفظ الاستعارة إذا حسن إدراكه قد يكون أهدى من لفظ الصورة »[4].

---

(1)- ينظر، حسين علي الزغبي، النقد في رسائل النقد الشعري حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 73.
(2)- المرجع نفسه، ص 73.
(3)- محمد ابن شرف القيرواني، **مسائل الإنتقاد**، ص 58.
(4)- جابر عصفور، الصورة الفنية في **التراث القدي والبلاغي عند العرب**، ص 07.

وبادئ ذي بدئ لا بد لي من القول: إن النقاد الشعراء قديما لم يطلقوا اسم الصورة الشعرية على عملهم النقدي، و إنما عالجوا هذا المعيار النقدي من خلال التركيز على أداتين من أدوات الصورة، هما الاستعارة والتشبيه، ولا سيما الاستعارة، لذلك عد النقاد« الاستعارة والتشبيه غالبا ما اجتمعت تحت تسمية عامة هي الصورة الشعرية»[1].

وقد نوه "**ابن شرف القيرواني**" بالصورة الشعرية، و الملاحظ أن منهج نقده كان انطباعيا من جهة، ويعوزه الدقة في نسبة الأبيات من جهة أخرى، فقد قال:« أما الملك الظليل مؤسس الأساس وبنيانه عليه الأساس، كانوا يقولون (أسيلة الخد) حتى قال:(أسيلة مجرى الدمع) وكانوا يقولون:(تامة القامة) و (طويلة القامة) و(جيداء) و(وتامة العنق) وأشباه هذا حتى قال: (بعيدة مهوى القرط) وكانوا يقولون: في الفرس السابق (ويلحق الغزال والظليم) وشبهه حتى قال: (قيد الأوابد) ومثل هذا كثير. ولم يكن قبله من فطن لهذه الإشارات والاستعارات غيره، فامتثلوه بعده، وكانت هذه الأشعار قبل سواذج، فبقيت جددا وتلك نواهج، وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق النسج، وإن كان النهج »[2].

"**فابن شرف**" في تقديري لم يأت بشيء جديد، فقد سبقه إلى هذه الرؤية بعض النقاد أمثال "**ابن سلام الجمحي**" في قوله:« فاحتج **لامرئ القيس** من يقدمه قال: ماقال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي»[3]، و"**ابن قتيبة**" في قوله:« قال **أبو عبيدة** هو يقصد **امرئ القيس**، أول من قيد الأوابد، يعني قوله في وصف الفرس (قيد الأوابد) فتبعه الناس على ذلك»[4].

ومما يبدو "**أن ابن شرف**" أراد تأصيل فكرة إبداع الصورة الشعرية، وإسنادها إلى الشاعر **امرئ القيس**.

---

(1)- المرجع السابق، ص 07.
(2)- محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد ، ص 24،25 .
(3)- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، 1974م ، ص 55.
(4)- عبد الله بن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 72،73.

قضية السرقات الأدبية:

« والسرقة قديمة في الفكر الإنساني، وجدت عند اليونان والرومان منذ عهد بعيد، وقد أشار **أرسطو** إلى نوع منها حين ذكر أن هناك صورا تعبيرية قديمة يستخدمها الشعراء نقلا عن نظرائهم الأقدمين. **هوراس** يعترف لنا بأنه قلد **أركيلوكس** وأ **لكيوس** وغيرهما. ويقرر في موضع آخر أن بعض قصائده ليست إلا نسخ يونانية »[1] .

كما تعد قضية السرقات الأدبية من القضايا البارزة في حركة النقد العربي القديم، فقد اهتم النقاد العرب القدماء وأولوها كل عناية واهتمام .

ومدار هذه القضية حول الخلق الفني وتطوره، وباعث المشكلة هو الاتجاه لتحديد الموقف من هذا الخلق الفني المبدع أو المخترع، هل هو مقصور على مبدعه أو مخترعه الأول؟ أو يتجاوزه إلى غيره؟ و إذا سمح بتجاوزه، فإلى أي حد يبلغ هذا التجاوز، وعلى أي صورة يكون؟ أيكون في اللفظ أوفي المعنى؟ أو في اللفظ والمعنى معا؟ وهل ويكون في اللفظ أو بعضه، وهل يكون في كل المعنى أو جزئه أو عكسه وضده أو في تحويره و قلبه عن وجهه؟ ونحو ذلك من التساؤلات التي توصل النقاد من متابعتهم الدقيقة للأعمال الشعرية المبدعة، وتطور هذه الأعمال وموقف اللاحقين منه.

ولقد كتب النقاد العرب الكثير من المؤلفات حول هذه المشكلة النقدية، فحددوا طبيعتها، ووضعوا الأسماء والمصطلحات لأنواعها وضروبها، معززين ذلك بالشواهد والأمثلة الموضحة، كما أدلوا بملحوظاتهم وآرائهم في جوانب هذه المشكلة، لكن هذه الدراسات كانت مختلفة البواعث، متباينة الاتجاهات، غير أنه لم يشتد ظهور هذه القضية إلا في أواخر القرن الثاني، وخلال القرن الثالث احتفى الشعراء بمظاهر الصنعة و بألوان البديع. فتبع ذلك نشاط النقاد في المتابعة وحركة التأليف، التي لم تكن بواعث الكثير منها نزيهة منصفة، وإنما غرضها التشفي لسبب من الأسباب. لكن هذه القضية تأخذ بعدا آخر من النزاهة والنضج في بحوث نقاد القرن الرابع[2] .

---

[1]- محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي القديم ، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م . ص 124.
[2]- ينظر، المرجع نفسه ، ص 35.

ويرى "**محمد مندور**" أن « دراسة السرقات دراسة منهجية لم تظهر إلا عند ما ظهر **أبو تمام**، وذلك لأمرين: قيام خصومة عنيفة حول هذا الشاعر، فلم يجد خصومه سبيلا إلا أن يبحثوا للشاعر عن سرقاته، ليدلوا على أنه لم يجدد شيئا، وظهور **المتنبي**، وقيام حوله خصومة جديدة، فحاول أعداؤه تجريحه بإظهار سرقاته أيضا »[1] .

و"**ابن شرف**" الناقد الشاعر مثله مثل غيره من النقاد، فقد ركز اهتمامه في تناول قضية السرقات على شعراء مشهورين، أمثال "**المتنبي**" و"**أبي تمام**" و "**أبي نواس**".

ومن المفيد أن أشير– قبل أن أبحث في هذه القضية بحثا تطبيقيا عند "**ابن شرف**" – إلى أن ما طرحه "**المتنبي**" وبعض النقاد القدماء لم يختلف عما يطرح في النقد الحديث، وفي هذا الصدد قال "**المتنبي**":« ومن الذي تعرى من الإتباع، وتفرد بالاختراع والابتداع، لا أعلم شاعرا جاهليا ولا إسلاميا إلا وقد احتذى، واقتفى، واجتذب، واجتلب »[2] . ومن النقاد على سبيل المثال "**ابن رشيق**" فقد رأى أن باب السرقة « باب متسع جدا لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه»[3] .

فهذه الرؤية النقدية تلتقي مع ما طرحته " **جوليا كريستيفا**" عندما قالت:« كل نص هو تشرب وتحويل لنص آخر»[4] . وما تقدم يشير إلى أن التناص أمر لا مفر منه، فكل إبداع شعري يحتاج إلى ثقافة مخزونة في عقل الشاعر.

وقد نظر بعض النقاد العرب إلى قضية السرقات نظرة عائبة تقلل من شأن الشاعر ومن قدرته الإبداعية و الابتكارية، ولا سيما إذا كان يقصد من وراء النقد السخرية والتجريح. و إدراك هذه القضية عند النقاد المغاربة يدل على ثقوب النظر ودقة الملاحظة، وهي مهمة صعبة لا يستطيع القيام بها سوى الحاذق، حيث يصعب تمييز الدخيل من الأصيل من الكلام، فجذور هذه القضية قديمة، والشاعر في صيرورة دائمة مع التراث والتاريخ من حيث الاقتباس والأخذ من القدماء، فلا وجود للجديد بدون سابق. فالإبداع والابتكار الفني مرتبطان ارتباطا وثيقا بالتراث القديم، « فالحياة تصل قديمها بحديثها، وتصل

---

(1)- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ، ص 357.
(2)- المرجع نفسه، ص 357.
(3)- المرجع نفسه، ص 203.
(4)- المرجع نفسه، ص 204.

ظواهرها القابلة للاتصال بعضها ببعض. وقد ينشأ من هذا الوصل ما يبدو جديدا أمام الناس، كما أن الاختراع والإبداع الفني يكونان في المعنى الشعري لأن فيه يصح الإبداع والاختراع » [1].

من هنا نجد "**ابن شرف**" الناقد الشاعر قد عد السرقة من عيوب الشعر، وعدد أنواعها، فقال:« ومن عيوب الشعر السرق، وهو كثير الأجناس، في شعر الناس. فمنها سرقة ألفاظ، ومنها سرقة معاني، وسرقة المعاني أكثر؛ لأنها أحفى من الألفاظ ومنها سرقة المعنى كله، ومنها سرقة البعض، ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى، وهو أقبحها، ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص. والفضل في ذلك للمسروق ولا شيء للسارق».

يمكنني القول أن "**ابن شرف**" تأثر بخصمه "**ابن رشيق**" حين عدد أنواع السرقات التي يراها، وهي سرقة ألفاظ، وسرقة معان وهي على أنواع، ثم أشار إلى السرقة المحضة التي تعني سرقة معنى دون زيادة أو نقص. وثمة قضيتان هامتان أشار إليهما: أولهما أن سرقة المعاني أكثر من سرقة الألفاظ، لأن المعاني أخفى من الألفاظ، وثانيهما سرقة المعاصر من معاصر آخر فهي عنده تنبئ عن سقوط همة السارق. وبعد ماذا عن موقف شعر "**ابن شرف**" من السرقات الشعرية؟ هل استطاع أن يطبق رأيه في السرقات الشعرية على إبداعه الشعري أم لا ؟.

أشرت سابقا أنه ما وصلنا من شعر "**ابن شرف**" الناقد الشاعر ينطق ببعض التأثير بأساليب شعراء الجاهلية والإسلام وشعراء العصر العباسي، فلم يستطع إمساك نفسه عن أخذ بعض معانيهم، مثلما نجد في قوله هذا الذي تأثر فيه بقول " **طرفة بن العبد** " في قوله:

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ و الأيَامُ عن خَبَرٍ * هُمَا يَبُثَاكَ الأَخْبَارَ تَطْفِيلَا**[2]

فقال " **طرفة** ":

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَامُ مَا كُنْتَ جَاهَلاً * و يَأتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لمْ تُزودِ**[3]

كما أخذ أيضا من قول "**المتنبي**" لوصف قيمة المجد والمال فقال:

---

[1]- بدوي محمدطبانة، درلسات في النقد العربي القديم، ص 91.
[2]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 81.
[3]- طرفة بن العبد، الديوان، ص 41.

لَا مَجْدَ إلا بِالْمَالِ فَلتمِسْهُ ولَا * مَالَ إذَا لَمْ يَكُنْ بالمَجْدِ مَشْمُولَا**[1]

وقال "**المتنبي**":

فَلا مَجْدَ فِي الدُنيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ * ولَا مَالَ فِي الدّنْيَا لِمنْ قَلَّ مَجْدُهُ**[2]

كما لم يسلم شعره من أخذ بعض معاني معاصريه وعلى رأسهم "**ابن رشيق القيرواني**" في رثاء مدينته القيروان لما أصابها من خراب، وهذه الأخيرة تنبئ عن سقوط همة السارق حسب رأيه:

خَرجُوا حُفَاةٌ عَائِدينَ بِرَبْهِمْ * مِنْ خَوفِهِمْ و مَصَائِبَ الأَلْوانِ**

هَربُوا بِكُلِ وَلِيْدةٍ وفَطِيمةٍ * وبِكُلِ أرْمَلةٍ وكُلِّ حِصَانِ**[3]

فقال "**ابن شرف**":

ولَهُمْ زَحْمَةٌ هُنَاكَ تَحْكِي * زَحْمَةَ الْحَشْرِ و الْصَحَائِفُ تُتْلَى**
مِنْ أَيَامِي وَرَاءَهُنَّ يَتَامَى * مُلِئُوا حَسْرَةً و شَجَوا و ثَكَلا**
وحِصَانٍ كَأَنْهَا الشَّمْسُ حُسْنَا * كَفَّنَتْهَا الْأَظْمَارُ نَجْلَاءَ كَحْلَا**
فَاتَ كُرْسِيْهَا الْجَلَاءُ فَأَضْحَتْ * فِي ثِيَابِ الْجَلَاءِ لِلنّاسِ تُجْلَا** [4]

مما سبق نستنتج أن "**ابن شرف**" على الرغم من شاعريته و فحولته لم يسلم من التأثر بشعر غيره، ولم يستطع تطبيق رأية في هذه القضية التي شغلت بال النقاد القدماء والمحدثين على حد السواء. وعليه يمكنني القول أن "**ابن شرف**" لم يأت بالجديد في هذه القضية، بل احتذى بآراء القدماء و خاصة صديقه "**ابن رشيق القيرواني**".

---

(1)- محمد بن شرف القيرواني، ص84.
(2)- ريجيس بلاشير،المتنبي أبو الطيب، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط2، دن، الجزائر، ص 863.
(3)- ابن رشيق، الديوان، ص 281.
(4)- محمد بن شرف القيرواني، ص 87.

- **قضية اللفظ والمعنى**

من القضايا النقدية الهامة والمتصلة بالسرقات الشعرية – قضية اللفظ والمعنى – أو مشكلة الصورة والمضمون[1] كما يسميها بعض النقاد، والتي احتلت حيزا واسعا من النقد العربي منذ القديم إلى أن امتد أثرها حتى عصرنا الحديث.

وهذه القضية قديمة عولجت في الأدب اليوناني أولا، حيث تحدث عنها أرسطو حين اعتبر الألفاظ علامات على المعاني، وأنها تتفاوت فيما بينهما جمالا وقبحا من حيث الدلالة على المعنى، وأن المتكلم يستعين بالألفاظ ليستر جانب القبح في الأشياء أو يكشف عنه، ويذكر أن الألفاظ يجب اختيارها بحيث تتلاءم مواقعها في الجملة، ولتؤدي الغاية من المعنى المراد، وهنا يكون جمالها في معناها ومعرضها جرسها، ومن جمال الأسلوب ما يستعان فيه بالألفاظ وجرسها ونظامها.[2]

وقد كان للنقاد العرب مواقف مختلفة من هذه القضية فمنهم من ربط أهمية العمل الأدبي بالمعاني وأهمل الألفاظ، ومنهم من ربطها بالألفاظ، ومنهم من ساوى بينهما، ومنهم من نظر إلى الألفاظ من حيث دلالتها على معانيها في نظم الكلام وهو أهم هذه الآراء.[3]

لقد شغلت هذه القضية الثنائية التي تمثل الأساس في العمل الأدبي اهتمام النقاد منذ القديم، ومن عهد اليونانيين، ولا تزال إلى اليوم قضية من قضايا النقد الكبرى عند العرب والغرب على حد السواء. ومدار خلاف هؤلاء النقاد حول هذه القضية يعود إلى تفضيل أحد طرفي القضية على الآخر، أو القول بهما معا على حد السواء، من دون تفضيل أي منهما على الآخر، ومرد هذا التفاوت بينهم راجع إلى طبيعة كل منهم، وما يمليه عليه ذوقه الأدبي، وإلى مدى تفهمه لطبيعة العمل الأدبي.

كان "**ابن شرف**" يتمتع بحاسة فنية غاية في الرقة والرهافة والدقة، وله في النقد آراء تصور جانبا هاما من جهود النقاد حتى نهاية القرن الرابع الهجري، فقد أبدى رأيه في كثير

---

(1)- ينظر، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 128.

(2)- ينظر، عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، ج3، دار الجيل، لبنان، بيروت، 1956م ، ص 131.

(3)- ينظر،إحسان عباس، تاريخ **القد الأدبي عند العرب** ، ص 254.

من القضايا النقدية الهامة، ومسائل علم الجمال، ولعل من أهم تلك القضايا قضية اللفظ والمعنى أو ما يسمى بالشكل والمضمون.

ولقد أولى النقد العربي مسألة اللفظ والمعنى عناية كبيرة، فانقسم النقاد العرب فيها إلى طوائف، فمنهم من نظر إلى مقومات العمل الأدبي فأرجعه إلى جانب المعنى مغفلا شأن اللفظ، وآخرون أرجعوها إلى اللفظ، ومنهم من ساوى بين اللفظ والمعنى.[1]

ومن الذين يقدمون المعنى على اللفظ "**الآمدي**" حيث يذكر من امتدحوا "**أبا تمام**" فقالوا: « إن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة، و إنه إذا لاح له المعنى أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قوي، ثم يعقب على هذا قائلا: و إذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء، وهو لطيف المعاني، وبهذه الخلة دون ما سواها فضل "**امرؤ القيس**"، لأن الذي في شعره من رقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه، وبديع الحكمة، فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام حتى إنه لا تكاد تخلو قصيدة من أن تشتمل من ذلك على نوع من الأنواع، ولولا لطيف المعاني واجتهاد "**امرئ القيس**" فيها وإقباله عليها لما تقدم غيره، ويضيف إلى ذلك أن من فضائل "**أبي تمام**"، أن معانيه لو ترجمت إلى لغة أخرى كالفارسية والهندية لما فقدت قيمتها.[2]

ومن هؤلاء "**ابن طباطبا**" و"**المرزوقي**" و"**ابن الأثير**"، ولا بد من ملاحظة أن أغلب من حفلوا بالمعنى كانوا يقصدون إلى تقديمه على الألفاظ ، دون أن يغفلوا من شأنه، فهم ينزلونه في الأهمية منزلة تلي منزلة المعنى، ولذلك يشبهون الألفاظ بالمعرض أو الثوب للجارية الحسناء، حيث« أن للمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح »[3].

---

[1]- ينظر،المرجع السابق، ص 259.
[2]- ينظر،المرجع نفسه، ص265.
[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص 261.

ويرى "**المرزوقي**" في شارح ديوان الحماسة أن المدار في ذلك « أن تكون استفادة المتأمل للكلام والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله، وهم أصحاب المعاني، فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة، حكيمة طريفة، أو رائقة بارعة، فاضلة كاملة لطيفة شريفة، زاهرة فاخرة وهذه المعاني مازال المجال فصيحا أمام المحدثين للإبداع فيها»[1]، لأن الملك الإسلامي عظم في زمن المحدثين ورأوا ما لم يراه المتقدمون.

وقد ضاق أصحاب هذا الرأي بأصحاب الصنعة الذين يتخذون الأدب صناعة، وجعلوا هذه الصناعة همهم مقصورا على الألفاظ التي لا حاصل وراءها، ولا كبير معنى تحتها، وإذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع – على أي وجه كان من الغثاثة – يعتقد أنه أتى بأمر عظيم . وفي مقابل هذا الرأي يرى آخرون أنه المقوم الحق للأدب في الصناعة، فلا بد أن تستوفي الجمل والعبارات خصائص الصياغة الفنية، ليدخل الكلام في باب الأدب، فقد تكون الحقائق متفرقة في العلوم المختلفة التي يقولها كل دارس، وتكون المعاني جارية على ألسن الناس، ولكن لا يمكن إدخالها إلى ميدان الأدب، ولهذا نادى جمع من نقاد العرب بأن قيمة الألفاظ فوق قيمة المعاني.[2]

وربما كان "**الجاحظ**" حامل لواء هذا الرأي حين قال كلمته المشهورة: « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، و إنما الشأن في إقامة الوزن وتحيز اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير »[3].

ومن أصحاب هذا الاتجاه "**قدامة بن جعفر**" الذي يرى أن الشعر يقاس بما يحتويه من صنعة، وبما فيه من نبل فكرة، أو صدق المضمون. وصار هم أنصار اللفظ من البلاغيين حسن اللفظ وجودة السبك ويكاد ينحصر جهدهم في هذا الميدان؛ ذلك أن جل الأدباء والنقاد رأوا الافتتان في الحيلة اللفظية، المجال الأكبر للتجديد، إيمانا منهم بأن الأولين استفرغوا المعاني أو أتوا على معظمها، وهذا مجال الإبداع والإغراب الذي أولع به المحدثون وتبعهم النقاد في ذلك.[4]

---

[1]- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 165.
[2]- ينظر، غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 267.
[3]- عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان، ص 131.
[4]- ينظر، غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، 229.

وهناك فريق ثالث من النقاد ساوى بين اللفظ والمعنى، ولعل من أقدم النصوص في ذلك صحيفة "**بشر بن المعتمر**"، التي أوردها "**الجاحظ**" ينصح فيها بالبعد عن التوعر والتكلف في قوله:« إن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريم فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهم ويهجنهما نوعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملابستها وقضاء حقها »[1].

ولا بد الإشارة إلى أن الفرق ليس كبيرا بين من نصروا اللفظ على المعنى والداعين إلى المساواة بينهما، إذ كان جل الداعين إلى حسن اللفظ لا يقصرون قولهم على حسن اللفظ مفردا، ولا يقفون عند حدود اللفظ لذاته، مغفلين أمر المعنى الذي يدل عليه، ولا أدل على ذلك من أن "**الجاحظ**" على رأس من أشادوا باللفظ، فيصرح بأن« لكل ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال »[2].

ولن أعرض هنا لتاريخ هذه القضية وآراء النقاد فيها، فما يهمني في هذا المدار تقرير رأي "**ابن شرف**" الناقد الشاعر في هذه القضية بالخصوص، حيث كان استطلاع رأيه هو الآخر مجال خلاف بين النقاد.

تعرض "**ابن شرف**" إلى قضية اللفظ والمعنى وحاول أن يقف موقفا وسطا، لكنه رجح جانب المعاني أكثر من الألفاظ في قوله: « فمن الشعر ما يملأ لفظه المسمع، ويرد على السامع منه قعقاع فلا ترعك شماخة مبناه، وأنظر إلى ما في سكناه من معناه، فإن كان في البيت ساكن، فتلك المحاسن. وإن كان خاليا، فأعدده جسما باليا، وكذلك إذا سمعت ألفاظا مستعملة، وكلمات مبتذلة، فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما في أضعافها، فكم من معنى عجيب، في لفظ غريب، و المعاني هي الأرواح والألفاظ هي الأشباح، فأحسن فذلك الحظ الممدوح، و إن القبح أحدهما فلا يكون الروح »[3].

---

[1]- **عمرو** بن بحر الجاحظ ، الحيوان، ص 134.
[2]- **المصدر** نفسه، ص 144،145.
[3]- **محمد بن شرف** القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 09.

من خلال هذا النص أجد الناقد الشاعر "**ابن شرف**" قدم رأيه بوضوح في قضية اللفظ والمعنى التي كثر الحديث حولها في عصره، واعتبر أن المعاني بمثابة الأرواح، بينما الألفاظ بمثابة الأشباح فإن حسن – أي اللفظ والمعنى– فذلك هو المطلوب في العملية الشعرية، وإن قبح أحدهما قبح الشعر ولم يعد جميلا، وهكذا فالشعر عند "**ابن شرف**" على أربعة أضرب:

- ما حسن لفظه و معناه .
- ما حسن لفظه وساء معناه.
- ما حسن معناه وساء لفظه .
- ما ساء لفظه ومعناه .[1]

وعلى الرغم من أنه ناقد شاعر، بل من فطاحل الشعراء في ذلك العصر، فقد كان شعره مثل باقي الشعراء فيه الكثير من المعاني والأساليب الركيكة، ولم يستطع يطبق رأيه على بعض شعره كقوله:

مَا فُــلَانُ إِلَا كَجِيْفَـةُ كَـلْبٍ * والْضَّـرُورَاتُ أَلْجَأَتْنَا إِلَيْـهِ**
فَمَنِ اضْطَرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَا * دٍ فَلَا إِثْمَ فِي الْلجُوءِ إِلَيْهِ [2]**

كذلك قوله:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ لَقَــدْ * هَـانَ عَـلَـى الْلَّهِ ذَا الْبَلَـــدَ**
وفَسْوَةَ الكَلْبِ صَارَ قَاضِيًا * فَكَيْفَ لَو كَانَ ضَـرْطَةَ الْأَسَدِ[3]**

ومن هنا يمكنني القول أن المنهج الذي انتهجه "**ابن شرف**" في إعطاء رأيه لم يختلف عن سابقيه، فلم يأت بشيء جديد في هذه القضية، فقد اكتفى باللمحة والإشارة، وكرر ما قاله النقاد الأوائل أمثال "**ابن قتيبة**".

---

[1]- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 173، 174، عن **كتو صالح** ثنائية الشعر والنثر في الفكر المغاربي القديم في القرن الرابع الهجري، مذكرة ماستر، إشراف الأستاذ الدكتور بوقربة لطفي، كلية الآداب و اللغات و العلوم الإنسانية، جامعة **بشار**، 2012، ص 41.
[2]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 50.
[3]- المصدر نفسه، ص 50.

- **قضية الطبع والصنعة**

إن قضية الطبع والصنعة من القضايا النقدية التي استحوذت على اهتمام النقاد والبلاغيين العرب القدامى، فلا يكاد كتاب من التراث النقدي والبلاغي يخلو من التعرض لهذه القضية بشكل أو بأخر، وإن تباينت الرؤى لهذه القضية وللشعر العربي في ضوئها.[1]

فلقد اختلف النقاد منذ القديم حول العديد من القضايا النقدية، كما اختلفوا حول قضية الطبع والصنعة ولكن أغلبهم لم يكونوا من المناصرين للشعر المتكلف، واعتبروا الشعر المطبوع هو الشعر الجيد تأتي فيه المعاني واضحة جزلة والصورة قوية محكمة.

و النقاد المغاربة لم يكونوا بعيدين عما كان يحدث في المشرق العربي، من دراسات في مجال الشعر وقضاياه النقدية، بل كانوا على اتصال دائم مع المشرق العربي، ولهذا تعرض النقاد المغاربة لكثير من القضايا النقدية وأدلوا بدلوهم فيها، فكانت لهم فيها أراء ومواقف رائدة.

ولم يهتم "**ابن شرف**" كثيرا بقضية الطبع والصنعة ولم يفرد لها بابا خاصا كما فعل معاصره – "**ابن رشيق**" في عمدته – و إنما تعرض لها بإيجاز عندما تحدث عن الشعراء الذين تناولهم بالدراسة في قوله:« فشعر **الشيخ أبو عقيل** ينطق بلسان الجزالة، عن جنان الأصالة فلا تسمع له كلاما فصيحا ومعنى متينا صحيح»[2].

كذلك شعر "**العباس بن الأحنف**" الذي« رقق العشق كلامه، وثقفت قوة الطبع نظامه نفله رقة العشاق وجودة الحذاق »[3].

أما موقفه من "**البحتري**" فقد استحسن شعره ووصفه بأوصاف حسنة يقول فيه:« لفظة ماء ثجاج، ودر رجراج، ومعناه سراح وهاج على أهدى منهاج، يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره، يسر مراده وليـن قياد، إن شربته أرواك وإن قدحته أوراك، طبع لا تكلف يعيبه، ولا عناد يثنيه، ولا يمل كثيره، ولا يستنكف غزيره، لم يهف أيام الحلم، ولم يصف زمن الهرم »[4].

---

[1]- ينظر، إحسان عباس، تاريخ **النقد الأدبي عند العرب**، ص 441.
[2]- **محمد** بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 91، 92.
[3]- المصدر نفسه، ص 06.
[4]- المصدر نفسه، ص07.

أبدى "**ابن شرف**" إعجابه من هؤلاء الشعراء الذين ذكرهم، لأنهم يمثلون الشعراء المطبوعين في نظره، ولهذا فقد وضح ما في شعرهم من رقة الشعور، وفصاحة في الألفاظ ووضوح في المعاني، على الرغم من إعجابه الكبير بالشعراء المطبوعين، إلا أنه أبدى إعجابه كذلك بالشعر المصنوع. فقد وصف شعر "**مسلم بن الوليد**" الملقب (صريع الغواني) بقوله:« وأما صريع الغواني فكلامه مرصع، ونظامه مصنع، وغزله مستعذب مستقرب، وجملة شعره صحيحة الأصول مصنعة الفصول، قليلة الفضول »[1].

وينتقل "**ابن شرف**" إلى الحديث عن "**أبي تمام**" فيقول فيه:« متكلف إلا أنه يصيب، ومتعب لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس، جيد ذلك أو ليس جزل من المعاني، مرصوص المباني، مدحه ورثائه، ولا غزله وهجائه، طرفا نقيض، وخطنا سماء وحضيض ،وفي شعره علم جم من النسيب، وخصلة وافرة من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحفظت له أقوال وديوانه وشعره متلوا »[2].

ومن خلال ما تقدم يتضح رأي "**ابن شرف**" في كل من الشاعرين "**أبي تمام**" و"**البحتري**"، فقد حاول ألا ينحاز لأي منهما، ولكن أي متتبع لآرائـــه يلاحظ ميله و إعجابه بمذهب أهل الطبع كثيرا الذي يمثله "**البحتري**"، ولذلك حاول "**ابن شرف**" أن يقسم الشعراء إلى قسمين:

أهل الطبعة وأهل الصنعة، وحاول أن يقف منهما موقفا محايدا، إلا أنه لم يخفي إعجابه بأهل الطبع، ويظهر ذلك من خلال نقده لبعض عيوب "**أبي تمام**" خاصة الافتتاحات الثقيلة و التكرار، حيث يقول: « ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة، مثل قول "**حبيب**":

هُنَّ عَوادِّي يُوسفَ وَ صَواحِبَهُ * فَعَزِمَا فَقَدْ مَا أَدْرِكَ السُؤَالَ طَالِبُهُ**

و مثل " **لديك الجن**" في أول قصيدة

كَأنْهَـا مـَا كَـأَنهُ خلَّلُ الخِلَّةِ * وقَـفَ الـهـَلـُوكُ إذْاَ بغَـــمَا»**[3]

---

[1]- المصدر السابق، ص06.
[2]- المصدر نفسه، ص07.
[3]- المصدر نفسه، ص 17.

ومعنى هذا أن "**ابن شرف**" يعيب على "**أبي تمام**" وديك الجن مثل هذه الابتداءات ، ولولا إغراقهما في الصنعة وولعهما بحب الغريب لما وقع لهما مثل هذه الابتداءات، لكن رغم هذه الانتقادات "**لأبي تمام**" و"**لديك الجن**" لوقوعهما في مثل هذه الابتداءات الثقيلة، نجد شعره لم يسلم أيضا من هذه الافتتاحات الثقيلة والتكرار في قوله :

لَـهُـمْ زَحْـمَـةٌ هُنَاكَ تَحْـكِـي * زَحْمَـةَ الْحَشْـرِ و الْصَحَـائِـفُ تُتْـلَى**
مِـنْ أَيَامِـي وَرَاءَهُنَّ يَتَـامَى * مُـلِئُـوا حَسْـرَةً و شَجَـوا و ثَـكَـلا[1]**

وعلى الرغم من أن "**ابن شرف**" معروف بأصالة شعره، وخاصة في تلك المواقف الحساسة في التعبير ما أصاب القيروان من ذل وهوان كقوله:

فَهُـمْ كُـلَّـمَـا بَتَّتْ بِهِـمْ أَرْ * ضُ مَطَـايَا الْفِرَاقُ خَيْـلاً و رَجْـلَا**
لاَ يُلاَقِي النَّسِيْبُ مِنْهُمْ نَسِيْباً * يَتَـغَـزَّى بِـهِ و لَا الْـخِـلُّ خَـلَّا [2]**

كذلك وصف حنينه لوطنه بعدما أجبر على الإنتقال منها فقال:

يَا قَيْرَوَانُ وَدَدْتُ لَو أَنَنِي طَائِرُ * فَـأَرَاكِ رُؤْيَـةَ بَاحِـثٍ مُتَـأَصِّلِ**
آهًا و أَيَـةَ آهٍ تُشْـفِـي جَـوَى * قَلْبٍ بِنِيـرَانِ الصَبَـابَـةِ مُصْلَـى[3]**

لم يسلم أيضا بعض شعره من التكلف والصنعة خاصة في غرض المدح، وهذا راجع إلى انبهاره بالمجتمع الأندلسي وما رآه من بذخ وسط هؤلاء الحكام والمماليك، فمدحهم بأوصاف فيها الكثير من التكلف والصنعة كقوله:

لِمُخْتَلَفِ الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ * فَـهَـذَا لَـهُ فَـنٌّ و هَـذَا لَهُ فَنُ**
فَلِلْخَامِلِ الْعُلْيَا و لِلْمُعْدَمِ الْغِنَيُ * ولِلْمُذْنِبِ الْعَتَبِي و لِلْخَائِفِ الْأَمْنُ[4]**

ويمكن القول أن "**ابن شرف**" كان أميل إلى مذهب أهل الطبع منه إلى مذهب أهل الصنعة، ومع ذلك كله لم يقدم رأيه بصراحة في هذه القضية التي شغلت بال الكثير من النقاد.

---

(1) ـ **محمد** بن شرف القيرواني، الديوان، ص 87.
(2) ـ المصدر نفسه، ص 89.
(3) ـ المصدر نفسه، ص 54.
(4) ـ المصدر نفسه، ص 99 .

- **قضية القديم والجديد**

يقصد باللفظ القديم في الأدب العربي بصفة عامة و الشعر بصفة خاصة الذي قيل طيلة العهد الجاهلي والإسلامي والأموي، وهو التراث الذي أجمع النقاد وعلماء العربية على صحة الاحتجاج به، وهكذا يمكن القول أن القدماء هم الشعراء الجاهليون، والإسلاميون، والأمويون، الذين حافظوا على عمود الشعر العربي المتمثل في طريقة القدماء.

أما مصطلح الحديث أو الجديد فهو الشعر الذي بدأ مع قيام الدولة العباسية واستمر فيما بعد عهودا طويلة بدء مع "**بشار بن برد**" رأس الشعراء المولدين، و"**أبي نواس**" و "**مسلم بن الوليد**", "**فأبي تمام**" ...وقد اهتم هؤلاء المحدثون بالصياغة لأن همهم صياغة المعاني في بيان جميل حافل بالعبارات المزخرفة والألفاظ المنمقة والصور البديعية .

ثم انقسم الشعراء فيما بعد إلى طائفتين واحدة حافظت على طريقة القدماء من حيث الصياغة والعبارة وطرق الموضوعات، والأخرى مجددة وثائرة، وبانقسامهم هذا اختلف النقاد في أي طريقة أحسن:

1- طريقة القدامى والالتزام بعمود الشعر العربي.
2- أم طريقة المحدثين وخروجهم عن عمود الشعر العربي.[1]

ومن خلال هذا الصراع و الخصومة العنيفة بين القدماء والمحدثين ظهر أنصار القديم، نظروا إلى الشعر العربي القديم بأنه المثل الأعلى من حيث جودة المعاني وسهولة الألفاظ، و رأوا بأن الشعر المحدث أقل شأن من القديم، أما أنصار الحديث فإنهم نظروا إلى الشعر بأنه « مظهر للحياة وصورة للمجتمع الجديد يعيش مع الحاضر ويعبر عن طموحه للمستقبل، لا في الماضي والذكريات مع الأطلال والناقة، ووصف مشاهد الارتحال»[2] ، ثم أخذت المعركة تشتد بين أنصار القديم وأنصار الحديث، حتى انتهت إلى شاعرين كبيرين أحدهما نسج على طريقة القدامى وأطلق العنان لعواطفه وقلبه، والآخر أوغل في التجديد

[1]- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 463.
[2]- ينظر، فريدة مقلاتي، منهج النقد عند ابن رشيق في كتابه العمدة، ص 220، نقلا عن بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 181.

والاختراعات مستعملا عقله وتفكيره، هذان الشاعران هما "**أبو عبادة البحتري** و**أبو تمام حبيب الطائي**".

وكان من نتائج هذه الخصومة الفنية انتعاش حركة نقدية في القرن الرابع، أدت إلى ظهور مؤلفات عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر – كتاب الموازنة بين الطائفتين "**للأمدي**"– الذي يعد خلاصة الكتب النقدية التي تناولت هذا الموضوع لأنه طرح القضية في إطارها الحقيقي وعرضها في منهج علمي بكل حذر ودقة وإنصاف.[1]

وقد تعرض النقاد المغاربة بالبحث والدراسة لقضية القديم والحديث مثل إخوانهم المشارقة و سجلوا آرائهم في مؤلفاتهم النقدية، وما يهم بحثي هو التعرف على آراء "**ابن شرف**" في هذه القضية .

تناول "**ابن شرف القيرواني**" قضية القديم والجديد مثله مثل نقاد عصره، ذلك أن هذه القضية شغلت اهتمام النقاد العرب في المشرق و المغرب العربيين ، فيقول "**ابن شرف**" في مقامته على لسان "**أبي الريان**" في هذه القضية: « وتحفظ شيئين، إحدهما أن يحملك إصغارك المعاصر المشهور على التهاون بما أنشدت له، فإن ذلك جور في الأحكام، وظلم من الحكام، حتى تمحص قوليهما فحينئذ تحكم لهما أو عليهما »[2].

والمتفحص لهذه المقولة يجد أن "**ابن شرف**" لم يختلف عن سابقيه في هذه القضية أمثال "**ابن قتيبة**" في قوله:« ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا لمتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقهن، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله »[3].

يرى "**ابن شرف**" في هذه القضية أن الناس جبلوا على حب القديم ونفور من الجديد، فكان موقفه هذا يتفق مع موقف معاصره "**ابن رشيق**" الذي يقول:« كل قديم من الشعراء هو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله»[4]. ولهذا نجد "**ابن شرف**" يصرح بأن القدماء يمكن أن يصيبوا ويمكن أن يخطئوا، وخلص في الأخير إلى الموقف الوسط دون أن

---

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص 222،223.
[2]- محمد ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 45.
[3]- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء، ص** 63،62.
[4]- محمد بن شرف القيرواني، ص 35.

ينحاز إلى أي فريق منهما، ورأى بأن الموقف السليم الذي يعتمده الناقد الفطن ألا يستعجل باستحسان ولا باستقباح حتى يمعن في النظر في المسائل ويستخدم فكره فيها، وألا تقع أحكامه في العجلة والتسرع.

ولقد وازن "**ابن شرف**" في هذه القضية بين "**أبي تمام**" و "**البحتري**" دون أن ينحاز لأحدهما، لأنهما يمثلان في ذلك العصر محور الخصومة بين القدامى والمحدثين، حيث يقول في "**أبي تمام**":« فمتكلف إلا أنه يصيب، ومتعب، لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس، جزل المعاني، مرصوص المباني، مدحه ورثاؤه، لا غزله وهجاءه، طرفا نقيض، وخطب سماء وحضيض، وفي شعره علم جم من النسيب، وخصلة وافرة من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحفظت له أقوال »[1].

ويتحدث **ابن شرف** عن **البحتري** فبقول: « فلفظه ماء ثجاج، ودر رجراج، ومعناه سراج وهاج على أهدى منهاج، يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره، يسر مراده، ولين قياد، إن شربته أرواك وإن قدحته أرواك، طبع لاتكلف يعيبه، ولا العناد يثنيه، ولا يمل كثيره ولا يستكلف غزيره، ولم يهف أيام الحلم، ولم يصف زمن الهرم »[2].

وما يلاحظ على هذين النصين أن "**ابن شرف**" أبدى رأيه في كل الشاعرين دون أن يتحيز إلى جانب أحد منهما، وانتهج في حكمه مذهب التسوية بينهما وكشف عن عيوبها.

ويمكن القول أن ناقدنا الشاعر"**ابن شرف**" كان مثل غيره من الشعراء المبهورين بالشعر القديم، فوصف الأطلال و بكى على الأماكن الدارسة، فصور ديار الحبيبة، والرحلة، والفراق، كأنه بدوي من الصحراء، فلا يوجد أثر للحضارة ولا مظهر من مظاهر المدينة، و كأنه لم ينادم الملوك، ولا عاش في مدينة القيروان التي تمثل أرقى الحضارات، فخاطب من معه على شاكلة امرىء القيس[3] في قوله:

قِـفَـا فَتنسْمَا عِـطْـرَ النسِيـمِ * بِـرسـمِ الـدارِ مـنْ بَعـدِ الرسِيمِ**

---

[1]- المصدر السابق، ص 07.
[2]- المصدر نفسه، ص 07.
[3]- نورة بوغقال، القيم الجمالية والخصائص الفنية في شعر ابن شرف القيرواني، ص 62.

أَنِيخا لِنَاعجِينَ ولا تَرُومُا * فَمَا السُلْوانَ بِالأمْرِ العَظِيمِ**[1]

كذلك قوله:

رَسْمَ الشَجَى البُكَاءَ فِي الرسْمِ و الطَلَلِ* وَالدمْعَ حِيلَةُ أَهْلِ الفَقْدِ لِلْحِيَلِ**

أَفنِي دُمُوعِي و جِسْمِي طُولَ هِجْرَتِكُمْ * حَتى جَرَتْ دَمْعَتِي طِلا عَلَى الطَلَلِ**[2]

وعلى العموم هذه هي نظرة نقاد المغرب العربي إلى الشعر الجاهلي، و إلى القضايا النقدية التي حاولوا أن يقفوا منها الموقف الوسط، بين النظرة التقليدية للحفاظ على مبادئ الأصالة، وبين الاتجاه المجدد ليسايروا روح العصر.

[1]- محمد بن شرف القيرواني، الديوان، ص 94.

[2]- المصدر نفسه، ص 94.

الخاتمة

خـــاتـمـــة

ختاما أجدني أخلص إلى أن المغرب العربي شهد حركة فكرية واسعة وخاصة في القرن الرابع الهجري، شملت مختلف ميادين الفكر والثقافة وفروعها المتعددة، إذا ظهر على وجه الخصوص جماعة من النقاد – أمثال **ابن شرف القيرواني** – استطاعوا بفضل نباهتهم وثقافتهم وبما لديهم من استعداد أن يكونوا حركة نقدية كاملة تجلت في تطويرهم للمصطلحات النقدية و إضافة مصطلحات نقدية جديدة في مجال النقد الأدبي، وقدموا للأدب العربي جهودا محترمة لا تقل عن تلك التي ظهرت في المشرق، واستطعت بعد هذه الدراسة أن أجمل نتائج البحث في الأمور التالية :

1- أن شعر "**ابن شرف**" يعبر عن البيئة التي وجد فيها، والحياة الاجتماعية التي احتضنته، والظروف السياسية والثقافية التي وسمته.

2- توفرت أشعاره على أربع أغراض رئيسية، جعلها محورا لشعره وهي:

- **المدح** : خص به الملوك والأمراء ذوي السلطان، وأثنى عليهم بما يروق للعربي أن يمدح به من صفات.
- **الرثاء** : برع فيه وتفوق في وصف حال القيروان، فاختلفت عاطفته المدحية، فكـان أصدق إحساسا من مدحه للأمراء، واتسمت قصائده بالجمال وقوة التأثير في المتلقي، بلغة جزلة بعيدة عن التكلف و الصنعة.
- **الغزل:** كان غزلا حسيا، وفي صورة نمطية غلب عليها طابع التقليد .
- **الوصف:** تأنق "**ابن شرف**" في تجسيده، فصور الطبيعة وأبراز جمالها بأسلوب فيه كثير من الصنعة و التكلف.

3- تميزت رسالته المعروفة بـ:**(مسائل الانتقاد)** بقيمة نقدية كبيرة؛ لأنها تضمنت قضايا نقدية رئيسية، كونت جزاء هام من تراثنا النقدي الذي نعتز به، و يمكن تلخيص أهم آرائه فيما يلي:

- اكتفى "**ابن شـــرف**" بالإشـارة إلى أملــح الشعر وأحسنــه ما كانت ألفاظه موجــزة، ومقاصده بينة وواضحة بعيدة عن التعقيد والغموض.
- عاب "**ابن شرف**" كل لفظ وحشي أو غريب أو جاف، أو نافر، لأن هذه الألفاظ لا

تناسب البيئة ولا تقترب من أفهام المتلقين، لوجود تفاوت بينها وبين أخواتها داخل البيت الشعري، وأبرز أحد هــذه النصوص أن "**المتنبي**" كان يأتي بهذه الألفاظ كي يبدي براعــته و حفظه للغريب.

– تحـدث أيضا عن عيوب المدح، وأشار إلى أنه يكمــن في وجـود ألــفـاظ لا تليـق بالغرض، أو في مدح يراد به هجاء، أو الخروج على آداب اللباقـة فــي مخاطـبة الممـدوح.

– تناول "**ابن شرف**" الصورة الشعرية، فكان اهتمامه منصبا على الاستـعارة القائــمـة على المقاربة، ورفض كل استعارة تقوم على الإغراب من غلو أو تضاد، أو مخالفة للمألوف، أو فقدان للتناسب المنطقي بين أطراف الصورة، ومن ثمة فهو ينضوي تحت لواء عمود الشعر العربي الذي أكد مفهوم المقاربة في الصورة الشعرية .

– عدد في قضية السرقات أنواع السرق، فمنها سرقة ألفاظ، ومنها سرقة معان، ومنها سرقة المعنى كله، ومنها سرقة بعضه، ومنها مسروق بزيادة ألفاظ ومقصور عن المعنى، و هو أقبحها ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص. وثمة قضيتان هامتان أشار إليهما: أولهما أن سرقة المعاني أكثر من سرقة الألفاظ؛ لأن المعاني أخفى من الألفاظ. وثانيهما سرقة المعاصر من معاصر آخر، فهي عنده تنبئ عن سقوط همة السارق.

– حاول في قضية اللفظ و المعنى أن يقف موقفا وسطا، لكنه اهتم بالمعــاني أكثــر من الألفاظ، فلم يأت بشيء جديد، بل اكتفى بالتلميح والإشارة .

– حاول في قضية الطبع والصنعة ألا ينحاز إلى أحد منهما، لكنه مع ذلك أعجـب بمذهب أهل الطبع كثيرا، فلم يقدم رأيه بصراحة في هذه القضية النقدية التي شغلت بال كثير من النقاد المشارقة والمغاربة على حد السواء .

– اتبع "**ابن شرف**" في دراسته قضية القديم والجديد مذهب التسوية بينهما، وتلك هي نظرة نقاد المغرب العربي عموما إلى القضايا النقدية التي حاولوا أن يقفوا منها الموقف الوسط، بين النظرة التقليدية للحفاظ على مبادئ الأصالة وبين الاتجاه المجدد ليسايروا روح العصر.

و إنني لأتمنى – في الأخير– أن أكون قد وفقت في اجتهادي، فتدفع محاسن الإصابات مقابح الأخطاء، والزلات، والفضل كله يعود إلى من ترعرع عقلي على فضلــهم و رعاياتهم من أساتذتي وعلى رأسهم أستاذتي المشرفة.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا : المصادر

1_ أحمد أبو الحسن محمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق، طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، دط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،1956م .

2_ الحطيئة أبو مليكة جرول بن أوس، الديوان، شرح،أبو السعد السكري، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1974 م .

3_ طرفة عمرو بن العبد بن سفيان البكري، الديوان، تحقيق، كريم البستاني، ط 2، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

4_ عبد الله بن مسلم محمد الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق، محمود محمد شاكر، ط1، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، بيروت، 1974م.

5_ عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق، عبد الله بن مسلم، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1986م.

6_ علي الحسن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية صيد، بيروت، 2001م.

7_ عمر بن حسن الخطاب بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري، د ط، القاهرة، مصر، 1954 م.

8_ عمرو بن بحر الجاحظ الكناني البصري، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، ط 3, دار الجيل، لبنان، بيروت، 1956م.

9_ قدامة أبو الفرج بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق، كمال مصطفى، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.

10_ محمد بن شرف القيرواني، الديوان، تحقيق: حسن ذكرى حسن، دط، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1983م.

*مسائل الإنتقاد، تحقيق، نبوي عبد الواحد شعلان، دط، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر، 1982م.

12_ ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين عبد الله الرومي الحموي معجم الأدباء، تحقيق، عمر فاروق الطباع، ط1، دار المعارف، مؤسسة ابن حزم، بيروت، لبنان، د ت.

ثانيـــا: المـــراجـــع

13_ إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، ط1، دار الشوق، عمان، 1983م.

14_ أمجد الطرابلسي، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة، إدريس بلمليح، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1993م.

15_ العربي دحو، الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية و الإدريسية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

* مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، د ط، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1986م.

17_ بدوي محمد طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي (من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث)، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1974م.

18_ جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، د ط، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م .

19_ ريجيس بلاشير،أبو الطيب المتنبي، ترجمة، إبراهيم الكيلاني، ط2، دن،الجزائر، د ت.

20_ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط5، دار المعارف، مصر، 1965م.

21_ صلاح فضل، شفرات النص، ط 1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1999م .

20_ عبد الفتاح لاشين، الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام، د ط، دار المعارف، مصر،1981م .

21_ قاسم مومني، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، د ط، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، 1982م .

22_ محمد الطمار، تاريخ الادب الجزائري، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م .

23_محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ط 3، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان،2000 م.

24_ محمد خير شيخ موسى، فصول في النقد العربي وقضاياه، ط 4، دار الثقافة، الإسكندرية، د ت.

25_ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دط ، دار الثقافة، بيروت، 1973م.

26_ محمد الكتابي، الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ت.

28_ محمد محمد حسين، الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1970م.

29_ مصطفى أبو شوارب، إشكالية الحداثة (قراءة في نقد القرن الرابع الهجري)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ت.

30_ محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في الشعر العربي القديم، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م.

31_ محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دط، دار النهضة، مصر، د ت.

32_ مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، ط 2، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، د ت.

33_ النعمان القاضي، أبو الفراس الحمداني (الموقف والتشكيل البلاغي)، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1983م.

ثالثا: الـرسـائـــل الجـامعيـــــة

34- فريدة مقلاتي، منهج النقد عند ابن رشيق في كتابه العمدة، رسـالة ماجيستـر، إشراف الدكتور محمد زرمان، باتنة، 2009م.

35- كتو صالح، ثنائية الشعر و النثر في الفكر المغاربي في القرن الرابع الهجري، مذكرة ماستر، إشراف الأستاذ الدكتور بوقربة لطفي، كلية الآداب و اللغات و العلوم الإنسانية، جامعة بشار، 2012م.

36- نورة بوغقال، القيم الجمالية و الخصائص الفنية في شعر ابن شرف القيرواني، **رسالة** ماجيستر، **إشراف الأستاذ محمد منصوري، باتنة،2005م.**

رابعا: الـدوريـــــات

39- مجلة حوليات الآداب واللغات، الملتـقى الوطني الأول حول النـقـد الأدبـي الجزائـري، العدد 2، جامعة المسيلة، 2013م.

الفهرس

الــفــهــرس

مقدمة .....أ- ث

مدخل: النشاط النقدي في المغرب العربي **06**

1-بدايات التفكير النقدي عند العرب.....06

2- تجليات الثقافة اليونانية عند في النقد العربي القديم 07

3- النقد في القرن الرابع الهجري 09

4-اتجاهات النقد المغربي القديم 16

5-الروافد الثقافية للنقد في المغرب العربي.....18

الفصل الأول: ابن شرف القيرواني حياته_ ثقافته وأدبه_.....**19**

- تــوطئــة.....20

أولا: ابن شرف النـــاقد الشاعـــر.....**23**

1- حيـــاتـــه و نسبـــه 23

2- شخصيته الثقافية والعوامل المؤثرة فيـه 24

ثــانيا: آثــاره الأدبيــة **28**

1- آثاره النثــرية 28

2- آثاره الشعـرية 31

ثـالثا: نمـــاذج من شعـــره 33

أ- المرحلة الأولى.....33

- المديح.....34
- الغزل 37
- الوصف 39
- الهجاء 43

3- المرحلة الثانية 43
- الرثاء 44
- الزهد.....47

الفصل الثاني: منهـــج ابـــن شـــرف النقـــــدي.....50

- تـــوطئة 51

أولا :النقد والنقاد في عصر ابن شرف 54

ثانيـــــا: آراء ابن شرف النقدية 55
- مفهوم الشعر..... 55
- خصائص الشعر 55
- قضية السرقات الشعرية 62
- قضية اللفظ والمعنى 66
- قضية الطبع والصنعة 71
- قضية القديم والجديد 74

خاتمة 78

قائمة المصادر و المراجع..... 79-82

ملخص باللغة الإنجليزية 86

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن شخصية أحد النقاد الشعراء في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري، ألا وهو "**ابن شرف القيرواني**"، واتخاذ من إبداعه الشعري و النقدي نموذجا لذلك العصر، مما يحملنا على طرح عدة إشكالات منها:

من هو الناقد الشاعر "**ابن شرف القيرواني**"؟، وما قيمة جهوده الأدبية ؟، وهل تعد هذه الجهود من الإسهامات الحضارية للأمة العربية؟، كل هذه الإشكالات تناولتها في هذا البحث الذي ارتأيت تقسيمه مقدمة ومدخل، وفصلين، فتناولت في المدخل النشاط النقدي في المغرب العربي، ووقفنا عند بدايات التفكير النقدي عند العرب، ثم تجليات الثقافة اليونانية في النقد العربي القديم وصولا إلى القرن الرابع الهجري، ثم اتجاهات وروافد هذا النقد في المغرب العربي.

أما في الفصل الأول فتناولت فيه حياة "**ابن شرف القيرواني**"، ووقفنا عند العوامل المشكلة لثقافته وأدبه،ثم آثاره الأدبية ونماذج من شعره الذي لم يصلنا منه إلا النزر القليل، فضم أربع أغراض شعرية جعلها محورا لشعره وهي :

1- المدح: خص به الملوك والأمراء وذوي السلطان، بأسلوب فيه الكثير من التكلف.
2- الرثاء: خص به مدينة القيروان بعد خرابها ودمارها، و بأسلوب بعيد عن التكلف.
3- الغزل: كان غزلا حسيا، اقتصر على ذكر عين الحبيبة و شعرها... إلى ما هناك من مواطن الجمال.
4- الوصف: برع في تصوير الطبيعة الأندلسية، وتصوير جمالها.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه منهج "**ابن شرف**" النقدي، واتخاذ من رسالته مسائل الانتقاد نموذج لآرائه النقدية، ويمكن تلخيص آرائه فيما يلي:

1- اعتبر أن أملح الشعر ما كانت ألفاظه موجزة، ومقاصده بينة بعيدة عن الغموض.
2- عدد أنواع السرقات، و أشار إلى قضيتان هامتان: أولهما أن سرقة المعاني أكثر من سرقة الألفاظ، و ثانيهما أن سرقة المعاصر من المعاصر آخر تنبئ عن سقوط همة الشاعر.
3- وقف في قضية اللفظ والمعنى موقفا وسطا، لكنه رجح جانب المعاني أكثر.
4- حاول في قضية الطبع والصنعة ألا ينحاز إلى أي منهما، لكنه أعجب بمذهب أهل الطبع أكثر.
5- اتبع في قضية القديم والجديد مذهب التسوية بينهما.

و في الأخير توصلنا إلى خاتمة تناولنا فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث.

SUMMARY

The aim of this study was to detect figure critics poets in the Maghreb in the fourth century; namely, Ibn Charaf Alkairaouani, and take of the poetic creativity and monetary model of that era, and what leads us to ask several problematic, including:

Who is the critic Ibn Charaf Alkairaouani? What is the value of literary efforts? Will these efforts dating from the contributions of Arab civilization to the Loma? All of these problems addressed in this research, which Oroit divided into an introduction and entrance and two, grabbed in the doorway activity cash in the Maghreb, and stood at the beginnings of critical thinking among the Arabs, then the manifestation of Greek culture in the Arab Monetary old and up to the fourth century, and then trends in the tributaries of this cash in the Maghreb.

In the first chapter grabbed a life where Ibn Charaf Alkairaouani and stood at the factors for the problem culture and literature, and literary effects and models of his poms, which we have not received it only a little, annexation of four purposes of the lattice to make it the focus of his poms, namely:

1 complimenting: singled out by the kings and princes, and with the Sultan, in a manner which more than affectation.

2 Lament: singled out by the city of Kairouan after its destruction and destruction, and in a manner far from affectation.

3 spinning: Ghazla was physically, confined to the eye of her beloved ... to what are out there from the beauty.

4 Description: excelled in the Andalusian nature photography, photography and beauty.

While the second chapter which grabbed a curriculum of Ibn Charaf Alkairaouani, and take questions from Raselth criticism model for monetary views, and opinions can be summarized as follows:

1- Considered that the saltier poms what his words were brief and purposes of the evidence is far from ambiguity.

2-Number of types of thefts, and pointed to two important issues: first, that the theft of the meanings of stealing more vocabularies, and the second theft of another contemporary of contemporary predict the fall of vim poet.

3- Stop in the case of pronunciation and meaning intermediate position, but it is more likely meanings.

4- Tried in the case of copyright and workmanship not biased to any of them, but he impressed the people of the doctrine of copyright more.

5- Follow in the case of the old and the new doctrine of their settlement.

Finally, we came to the conclusion dealt with the most important findings from research.